

سبارك للنشر والتوزيع

• محمد رضا عبد الله •



كيف

تقتل زوجتك

دون أن تجرح مشاعرها

مجموعة قصصية

• محمد رضا عبد الله •

كيف

تقتل زوجتك

دون أن تجرح مشاعرها

مجموعة قصصية

سبارك للنشر والتوزيع

إهداء

إلى زوجتي العزيزة: (إيمان)

إهداء أهوى يا ستي.. عشان ما تقوليش إني حارمك من حاجة.. وعشان
 الألف حاجة أذاع بيها عن نفسي في الأيام الصعبة.. وعشان لما تفكري ترميني
 بحاجة أدبكي الكتاب وأفتحته على أول صفحة فتفكري الإهداء وتسي سبب
 زعلك مني.. وعشان أعرفك برضو إني مش ناسيكي وإن أول إهداء كتبته
 في حياتي كان ليكي وأعمالي السابقة تشهد على دعو.. وعشان أعرف القراء
 الأعراف إن عنوان المجموعة مش مقصود بيه حد معين.. أه والله.. وإنها حب
 حياتي وأم (عمرو) الغالية إلی استحملتني كتير.. كتير أوي.. ودلوقتي بسأل
 نفسي (يا ترى الإهداء ده مدته لحد إمتي؟ يعني لحد ما تخلص قراءته ولا لحد
 ما تخلص قراءة المجموعة؟ ولا هيستمر معها شوية.. مثلا شهر أو شهرين
 أوسنه).. على أي حال كل ما تتسبه هحاول أفكرلك بيه.. وعشان برضو لو مت
 تبقى تلافي حاجة حلوة تفكريني بيها.. ويمكن ساعتها تكتبي على قبري (هنا
 يرقد زوجي العزيز محمد رضا عيد الله إلی فضل طول عمره يفكرني بإهداء
 كتبولى مرة) .

إهداء ثان

إلى زوجتي العزيزة بروضو

شوقتي بقي.. إيه رأيك؟

إهدائين في كتاب واحد لنفس الشخص

ماحدث عمل كده قبل كده

ولسه كمان.. إهداء ثالث في الصفحة الجاية

أى خدمة؟ 🍷



التى صدقتى ولا إيه؟

أنسر واشين

لقد فعلتها..

لقد اشتريت ذلك الجهاز العجيب.. جهاز الرد على المكالمات.

الـ (أنسر ماشين).. answer machine .

نصحتني به كثير من أصدقائي.. كانوا دائما يشكون من قلة تواجدى بالمنزل..

وأنا حتى الآن أعزب وأسكن وحيدا فى شقتى.. لذا لا يوجد من يرد على الهاتف أثناء وجودى بالخارج.

كنت أقول لهم بمناد:

. لا أرى أى فائدة من هذا الجهاز.

. كيف!؟ إنه مفيد جدا.. على الأقل ستعرف منه أننا اتصلنا بك أثناء

وجودك بالخارج.

كنت أرد بمناد:

. خاصة (إظهار رقم الطالب) نعم بهذه المهمة.

. نعم، ولكنها لا تبغك برسائلنا لك.. تعطيك فقط أرقام من اتصلوا بك..

ثانيا: نحن نعلم جيدا أن ذاكرتك الرقمية ضعيفة جدا لذلك لن تتذكر أرقام هواتفنا كلها، وربما نتصل بك من رقم لا نعرفه.. فكيف ستعرف وقتها أننا

المتصلين؟ وكيف ستعرف سبب اتصالنا بك؟

وبعد إلحاح شديد منهم ومحاولات إقناع مستمرة..

اشتريت الـ (أنسر ماشين).

قالوا لى أنه يجب على أن أسجل رسالة بصوتى لكى يتلقاها كل من يتصل بى.. مفادها أنتى لست موجودا بالمنزل وأن بإمكانهم ترك رسالة لى بعد سماع صوت الصفارة.

يا لها من مهمة!

أنا لا أحب أن أسجل صوتى.. فأنا أعلم جيدا أنه شنيع للغاية.. فكيف

سأقدم على تسجيله!؟

ولكن.. ما باليد حيلة.

كتبوا لي.. في ورقة صغيرة.. ما يجب أن أقوله لأسجله بصوتي على الجهاز
فيسمعونه عندما يتصلوا بي.

كنت أجلس وحيدا.. كالعادة.. في شقتي عندما أمسكت بالورقة وقررت القيام
بخطوة التسجيل.. وقرأت ما كتبوه.

• أنا (أكرم مجدي) .. لس... »

كيف لا يكتبون (المهندس) قبلها؟! أصلحت الخطأ الشنيع في الورقة ثم
مسحت طيبا ما قمت بتسجيله.. وعدت أسجل من جديد.

• أنا المهندس (أكرم مجدي) .. لست موجودا الآن بالذ... »

كيف لا أكون موجودا وأنا أقول لهم ذلك؟ إن تحدثني إلههم يعني أنتي
موجود.

• أنا المهندس (أكرم مجدي) .. لست موجودا بالمنزل وقت سماعك هذه
الرسالة... »

لماذا أقول (سماعك)؟ ربما تكون المتصلة امرأة...!

• أنا المهندس (أكرم مجدي) .. لست موجودا بالمنزل وقت سماعك أو
سماعك هذه الرسالة.. من فضلك.. أومن فضلك.. أترك.. أو أترك.. رسالتك
أو رسالتك.. بعد سماعك أو سماع... »

أه!

ما هذا!

لقد طلبت: لقد صبري.

« أنا المهندس (أكرم مجدى) .. اتركوا رسالة بعد الصغارة .. سلام .. »

فى يوم ما ..

عدت من عملى متأخرا .. دخلت شقتى وأنا أحلم بساعات من الراحة ..
ألقيت بجسدى المنهك على الأريكة التى بالصالة واسترخيت تماما .. لمحت
الهاتف بجوارى على المنضدة .. فضغطت الزر وبدأت أسمع الرسائل المسجلة ..

لم أعد أستطيع النوم قبل سماع جميع الرسائل ..

لقد سارت عادة سخيفة .. يجب أن أتوقف عنها ..

بل يجب أن أدمر هذا الجهاز اللعين .. لم أجد له فائدة حتى الآن ..

لم ينقل لى رسالة مهمة أو عاجلة .. يستوجب تسجيلها .. حتى هذه اللحظة ..
ومعظم من سجلوا رسائلهم عليه قابلتهم قبل سماعى ما سجلوه ..

ببساطة .. تحصيل حاصل ..

ورغم ذلك كنت متمسك بمادة سماع كل الرسائل المسجلة قبل نومى ..

لكن .. من يدرى؟ ربما أجد رسالة مهمة يوما ما .. ربما ...!

« الرسالة الأولى .. الساعة الثامنة وأربعة عشر دقيقة »

« آلو .. أنا (سهير) يا (أكرم) .. هل أنت هنا؟ من فضلك .. أجب .. ارفع

السماعة أرجوك .. أنا فى خطر ... »

« كنت أرفع السماعة لأرد عليها لولا أنى تذكرت أنها رسالة مسجلة ..

رسالة من (سهير) .. المرأة الوحيدة التى ملكت قلبى .. تقول أنها فى
خطر ..

« أنت تعرف عنوانى جيدا .. تعالى بسرعة .. أنا خائفة .. أنا وحدى بالمنزل ..

زوجى بالخارج .. أنا لا أعرف ماذا أفعل .. أسمع خطوات .. أشعر أن هناك أحدا

غيرى بالمنزل .. أعتقد أنه لص .. أرجوك تعالى بسرعة ..

نهضت بأقصى سرعة.. واتجهت إلى الدولاب وبحثت عن مسدسى.
لقد اشتريت مسدسا عندما بدأت عملي في الصحراء.. كنت أخشى
الذئاب.. وعندما تركت العمل هناك قررت أن أبيعهم..
ولكني اكتشفت أن الذئاب هنا أكثر فقررت أن أحتفظ به.. وهكذا ظل هنا
مختبئا لشهور في الدولاب.

وجدت المسدس كما تركته آخر مرة.. تأكدت أنه محشوا.
لا أنوي قتل اللص طيما.. سوف أستخدمه لتخويمه..
ولكن..

إن الرسالة كانت الساعة الثامنة والربع تقريبا.. والساعة الآن العاشرة.
أى أنها كانت منذ ساعتين تقريبا..

مدة طويلة.. ما الذي يمكن أن أفعله بعد مرور كل هذه المدة؟

• الرسالة الثانية.. الساعة الثامنة وعشرون دقيقة... •

هل أستمع لهذه الرسالة أم أطمئن على (سهير) أولاً؟

ترى من اتصل بي أيضا؟

• آلو.. أنا (سهير).. أرجو ألا أكون قد أزعجتك برسائلي السابقة.. أنا
أسفة.. لقد خفت بشدة ولم أجد أحدا أستجد به غيرك إتصلت على (فريد)
في عمله لكنه لم يكن موجودا... •

ذلك الزوج الوغد يتركها ويذهب إلى عمله وعندما تتصل عليه لا تجدها إلا
بعلم أنها فضلته على الجميع؟

حتى أنا!

إنها لا تستحق هذه المعاملة السيئة منه.

• لم أكن أتخيل أنه هو نفسه صاحب الخطوات لأنه أخبرني بأنه لن يعود قبل
أسبوع، لذا لم يخطر ببالي أنه هو.. لقد اعتقدت أنه لص إستغل فرصة وجودي
وحيدة بالمنزل.. أنا أسفة جدا على هذا الإزعاج.. أتمنى ألا أكون قد سببت لك
أى قلق.. إذا سمعت هذه الرسالة اطمئن.. أنا بخير.. أتركك الآن.. لا أريد أن

يعرف (فريد) أنني اتصلت بك.. فهو غيور جدا.. سلام.. أه.. نسيت أن أبارك لك على الأنسر ماشين.. مبروك..

نظرت إلى المسندس وابتسمت في سخرية..

لقد مضى على رسالتها المسجلة ساعتين وأنا أتأثر بها الآن.. وأتأمل بها كأنني أسمع صوتها في هذه اللحظة.

ساعتين! يا!!!!!!

ربما تكون (سهير) قد سافرت إلى (أسوان) خلال هذه الفترة.. وربما هي طردها إلى فجيترا أو أمريكا لو... أو..

ما الذي أقامني به (الأنسر ماشين) حتى الآن؟

كل هذا القلق والتوتر لم يكن ليحدث لولا وجود الأنسر ماشين

« الرسالة الثالثة.. الساعة الثامنة وست وثلاثون دقيقة.. »

« أهو.. أنا (سهير) يا (أكرم).. إن (فريد) لا يعجبني اليوم.. إنه لم يقبلني كعادته عند عودته من العمل.. كان وجهه عابسا جدا.. قال بعض الكلمات الجارحة لي.. هناك شيئا غريبا في تصرفاته.. ربما أكون مخففة.. ولكنني أعتقد أنه يشك في.. لذا وجدت أنه من الضروري أن أحذرك.. لا تتحدث عني بطريقة جيدة معه.. لا أريدك أن تمدح في شخصي.. تكلم عني بطريقة عادية والا فلن أن هناك شيئا ما بيننا.. أرجوك يا (أكرم).. إنه غيور جدا.. أنا أعرفه جيدا.. لقد رأى يوما شابا كان.. أأ.. لقد عاد من الحمام.. سلام الآن.. »

ما الذي يحدث؟ كيف يمكن لهذا الرجل أن يشك في هذا الملاك الهوي

الطاهر؟

لقد أخطأت (سهير) كثيرا بزواجها منه.. ليتني منعتها.. ليتني

ما الذي يمكنني فعله الآن؟ هل أتصل بها لأطمئن عليها؟

ولكن.. قد يرد زوجها.. وهكذا أكون قد أكدت شكوكه.. لا.. لن أتصل.

وما زال الجهاز اللين مستمرا في سكب الرسائل المسجلة على مسامعي.

تُرى هل ستكون هناك مكالمة أخرى من (سهير) لأطمئن عليها؟

« الرسالة الرابعة.. الساعة التاسعة وثلاث دقائق..»

« إنه يشك فى.. لقد قالها لى بطريقة وقعت.. لا أصدق أنى سمعت هذا الكلام منه.. إنه يعتقد أن هناك شيئاً ما بيننا.. لقد كان استنتاجى صحيحاً.. لا أعلم كيف دخلت مثل هذه الأفكار السوداء إلى عقله..»

ذلك الـ (.....) كيف يعتقد أنها تخونه؟ كيف؟

«.. قال أن معه الدليل.. لا أعرف أى دليل هذا الذى يتحدث عنه ولكنه قد ذهب لإحضاره.. أنا خائفة.. لا أعرف ما الذى سيفعله.. لا أعلم كيف ستنتهى هذه الليلة.. ولكنى اتخذت احتياطاتى.. لقد دخلت المطبخ وأخذت سكيناً لأحمى نفسى به.»

لا.. لا تفعلى هذا يا (سهير)..

وكنت أن أرفع للسماعة مرة أخرى لأتحدث إليها، ولكنى تذكرت أنها رسالة مسجلة..

اللجنة.. إن ذلك الجهاز يشمرنى بالمعجز.

«.. حتى ما إذا حاول أن يفعل شيئاً أمدده به.. وبرغم ذلك مازلت خائفة...»

صوت (فريد) من بعيد يقول:

«ها هو الدليل على جريمتك..»

(سهير): «ما هذا؟»

يبدو أنه فاجأها بدخوله فتركت السماعة تسقط من يدها.. إن آخر ما تريده فى هذه اللحظة أن يعرف أنها كانت تتصل بى.

(فريد): «دليل الخيانة.»

صوت (سهير) يبتعد: «صوّر!»

(فريد): «نعم.. صوورك مع المهندس فى أماكن كثيرة.»

(سهير): «هل نظرت جيداً إلى الصور؟ إنها صور للمهندس (أكرم) ولكن مع واحدة أخرى تشبهنى.. وفى نفس الوقت كلها صور بروقة لا تثبت أن هناك

شيئا ما بينه وبين هذه المرأة التي في الصورة..

(فريد): « لو أن هذه المرأة متزوجة وتقابل هذا الرجل الأعزب فإنها لن تكون صور بريئة.»

(سهر): « أنت غير جدا.. لو أنني كنت أعلم أنك غير إلى هذه الدرجة...»

(فريد): « لماذا تمسكين الصور بيدك اليسرى؟»

(سهر): « ماذا؟»

(فريد): « ما الذي تحملينه في يدك اليمنى؟ أرنى..»

(أصوات صباح وعراك)

«... ما هذا؟»

(سهر): « سكين..»

(فريد): « أعلم جيدا أنه سكين.. هل كنت تتوهم التخلص مني ليمخلو لك الجو مع...»

(سهر): « لا.. لا.. لقد كنت.. أرجوك.. لا... آآآآآآآآآآآآآآآآ...»

(فريد): « يا خائفة..»

ما الذي حدث؟ هل طعنها؟

أسمع صراخ (سهر) يمزق قلبي تعزيفا.. لا أستطيع تحمل ما أسمع.

ثم سمعت صوت (فريد) وهو يقول:

« أنت شيطانة.. تخونيني وتخططين لقتلى...»

(صوت أنين خافت)

(فريد): « الآن تخلصت منك وجاء الدور على المشيق.. سادعوه على المشاء وأقتله بنفس السكين.»

(صوت أنين.. ثم صوت خطوات.. ثم صمت)

(سهر): « أكرم.. اهرب.. لا تأتي هنا أبدا.. أبدا.»

المسكينة لقد انتهزت فرصة خروجه من الغرفة وعادت إلى الهاتف لتحذرنى منه.. حذرتنى وهى تلتقط أنفاسها الأخيرة.

الرسالة الخامسة.. الساعة التاسعة وخمسة عشرة دقيقة..

صوت (فريد): «ألو.. (أكرم).. (أكرم).. هل أنت هنا؟.. حسنا.. أنا أتصل لأدعوك على العشاء عندنا الليلة.. كانت (سهير) تريد دعوتك بنفسها لولا أنها مشغولة الآن فى المطبخ.. لا أعذار.. لا بد أن تحضرو.. ستكون فى انتظارك.. لا تتأخر.. سلام».

الوعدا

قتلها ويدعونى على العشاء لقتلى أيضا.

بيد أنه لا يعلم أنها كانت تحدثنى وقت ارتكابه الجريمة.

يمكننى أن أستخدم الرسائل الصوتية المسجلة على هاتفى وأبلغ الشرطة عن جريمة القتل وستكون الرسائل الصوتية دليلا قويا ضده.. ويكون الأنسر ماشين ذا فائدة أخيرا..

لكنى لن أنتظر.. لا بد أن ينال جزائه الآن.

وضعت المسدس فى جيب بذلتى الداخلى وخرجت من شقتى بأقصى سرعة.. هبطت الدرج فى ثوان وركبت سيارتى على عجل وهى دقائق معدودة كنت قد وصلت لقيلا (فريد).

كانت نيران النضب تشتعل بداخلى.. وتتأجج فى كل لحظة..

لا بد أن أنتقم.. (سهير).. لا بد.

لن أنتظر عدالة القانون.. سأنفذ العدالة بنفسى.. فربما يهرب.. ربما كان يخطط لقتلى ثم يسافر إلى خارج البلاد قبل أن تفوح رائحة جريمته.

وربما لو قبضوا عليه يكتفوا بسجنه فقط.. وهذا ليس كافيا بالنسبة لى.. لا بد من إعدامه.

وربما يستطيع تبرئة نفسه من التهمة رغم وجود الأدلة.. وهذا لا أستطيع تحمله أبدا.. لن أتحمّل هذا الحكم أبدا.. إنه مذنب ولا بد أن ينال جزائه..

ضغطت بإصبعى على جرس الباب.. نق الجرس.

أخرجت المسدس من جيب البذلة.. ثم وضعته في جيب بنطالي..

فتح (فريد) الباب لي.. وعلى وجهه ابتسامة ترحاب خبيثة..

إنها نظرة الذئب قبل التهام فريسته.. كان يخطط لقتلي على العشاء.. لكنه لا يعلم أنني قررت النهل منه قبل أن ينال مني.

« أهلا (أكرم).. »

قالها وهو يحتضنني فأخرجت يدي.. المسكة بالمسدس.. من جيب بنطالي ثم وضعت فوهته على صدره.. وضغطت على الزناد.. مرة.. والثاني.. وثلاثة..

ثلاث رصاصات اخترقت صدره.. كان الصوت مكتوماً إلى حد ما بسبب تلاصق جسدنا..

تراخي جسده وتهاوت ذراعه اللتين كانتا تحتضناني.

وسقط أرضاً على القور.. جثة هامدة.

قلت له:

.. هذا جزاء جريمته.

لم يسمعني لأنه قد فارق الحياة.

ثم أسرع إلى سيارتي.. لا أريد أن يراني أحداً من جيرانه..

المنطقة بها عدد قليل من القبيلات وكنت أعلم أن معظم سكانها بالخارج.. ولكن الاحتياط واجب.

لا بد أن أغادر المكان بسرعة.

كنت أريد الصعود لأعلى لأرى (سهير) وألقي عليها النظرة الأخيرة.. نظرة الوداع ولكن الوقت لا يسمح.. لا أريد أن أظل بمسرح الجريمة أكثر من هذا.

عندما عدت إلى منزلي شعرت بالاطمئنان..

لقد نفذت الجريمة الكاملة..

تمت بسرعة ودقة متناهية.. لم يراني أحد ولم أترك دليلاً أو أثراً ورائي.

ستأتي الشرملة وتجث جثتي بالفيلا.. جثة بالأعلى وجثة بالأسفل.. جثة مطعونة بمسكين المحيط والأخرى برصاص مسدس.

ستتوصل لحل الجريمة الأولى وستدرك أن الزوج هو القاتل.. ولكن ستحتار كثيرا في حل الجريمة الثانية.

ربما بالكشف عن أرقام الهواتف.. المكالمات الصادرة والمكالمات المستلمة.. سوف يتوصلوا لرقم هاتفى.. لكننى سأقول أنتى لم أكن موجودا بالمنزل وقتها.. والجميع يعلم أنتى كنت بالمعمل وزملائي سيشهدون بذلك.. لم تذكرت الأسماء مشين..

بعد أن كان دليلا ضد (فريد) .. سيكون الآن دليلا ضدى.

يجب أن أمحي كل الرسائل المسجلة على الجهاز حتى لا تكون دليلا على جريمتى.. هانا لا أريد أن يعلم أحد أنى علمت بما حدث هناك.. لكن.. ما هذا؟

هناك رسالة جديدة.. يبدو أنها وصلت أثناء وجودى بالخارج. ضغطت على الزر لأستمع إلى الرسالة.

« الرسالة الأولى.. الساعة المباشرة.. وأريمون دقيقة »
« آلو.. (أكرم).. أنا (فريد).. كنت أريد أن أبلغك أن.. أن.. »

(صوت ضحكات)

.. أننا كنا نمزح معك يا صديقى.. ما رأيك فى نص المسرحية الجديدة التى تنفذها؟.. ما رأيك فى الأداء الصوتى؟.. أراهن أنك صنعتنا.. يااااه.. أريد أن أرى نظرة الدهشة على وجهك الآن.. كنت أدرها لحين حضورك ورؤية (سهير) حية أمامك وتفتح لك الباب بنفسها.. لكنها ألححت أن أكشف لك المزحة الآن لأنها خافت على أمصابك وخافت أن تبلغ الشرطة فتتورط فى بلاغ كاذب.. على أى حال ستحكي لنا شعورك عندما تأتى الليلة على العشاء.. سننتظرك.. ماذا طيخت لنا يا (سهير)؟.... »

لم أهتم بما قالته (سهير) بعد ذلك لأنى كنت مرعوبا بما سمعته على لسان المرحوم زوجها.

أنهت رسالتها المسجلة قائلة بضحكة عذبة:

• لا تتأخر على العشاء.. ومبروك مرة أخرى على الأئمة ماشين •

(تمت بحمد الله)

بنت الجيران

(١)

اسمى (إيهاب وجدى)..

طالب فى السنة الرابعة من كلية الآداب.

سأحكى لكم عن قصة حبى.. ربما تجدونها قصة عادية لا تستحق الحكى..
تتكرر يوميا فى حياتنا العادية.. ربما هناك قصص حب أفضل منها ألف
مرة.

على أى حال.. أنا لم أقل أنها قصة حب خارقة.. لم أقل أنها ستجعلكم
تبيكون من التأثر.. لم أقل أنها ستظل عالقة فى أذهانكم لسنوات قادمة.. أنا
قلت فقط أنها قصة حبى.. وهذا سبب قوى بالنسبة لى لأحكيها لكم.. إنها
تجربتى الشخصية.. وهى بالنسبة لى أهم من ألف قصة خيالية.

وأعتقد أن كثيرون يتفقوا معى فى هذا الرأى.. يكفى أن تضع عنوان (حدثت
بالفعل) أو (مستوحاة من أحداث حقيقية) على أى عمل أدبى وستجعل الجميع
متشوق لقراءته.

فلو حكيت لى مئات القصص عن مصاصى الدماء لن تثير خوفى أبدا.. أما
لو حكيت لى أنك كنت عائدا لمنزلكم بالأمس ورأيت رجلا على شفاهه تقاطع من
الدم.. هل هى دمائه أم دمء شخصا آخر؟.. لسوف أنصت لك باهتمام شديد
وجسدى كله يرجف من الخوف.

إذن.. اسمعوا قصتى.. وأعدكم أنها لن تكون شيقة مثل قصص مصاصى
الدماء.. ولا يوجد به رجل يسيل الدم من شفثته..

ولكنها على الأقل..

حدثت بالفعل.

الحب الأول

ما هو الحب الأول؟ هو الحب الذى يطرق أبواب قلبك لأول مرة.. قد يكون
حب زميلة الدراسة أو زميلة العمل أو أحد أقاربك أو.. أو..
بالنسبة لى.. الحب الأول هو حب بنت الجيران.

تخيل ممي واحدة تراها كل يوم أمامك.. هي الذهاب والإياب.. تراها بملابس الخروج وأحياناً كثيرة بملابس البيت أثناء زيارتك لمنزلها.. وفي كل مناسبة سعيدة.. كالأفراح والأعياد.. تراها بأفضل الثياب.. تعودت على رؤيتها باستمرار لدرجة أنك صرت تحفظ ثيابها وأحذيتها.. فلو أنها اشترت شيئاً جديداً ستعرف في نفس اليوم.

واحدة تعودت على سماع صوتها.. ضحكاتهما.. حديثها.. همساتها مع صديقاتها..

لذا من الطبيعي جداً أن يتعلق قلبك بها.. وأن تحبها.. فأنت لا تجد أحداً أمامك غيرها.

أعتقد أن (حب بنت الجيران) مرتبط ارتباط وثيق بمصطلح (الحب الأول).. هذا رأيي!

لا بد أن تحب بنت الجيران.. حتى لو كانت تشبه (أمناء الغولة) سوف تحبها.. نعم.. ستحبها.. وأؤكد لك.

وربما تجد نفسك هائماً تكتب قصائد غزل في أمناء الغولة.. وتنتظر عودة أمناء الغولة من المدرسة.. وتذهب لها في المناسبات وتقول لها: كل سنة وأنت طيبة يا أمناء الغولة.

أنا لا أتحدث هنا عن أمناء الغولة.. حتى لا ندخل في متاهات ميتافيزيقية.. هذه قصة رومانسية وليست قصة مرعبة.

أنا لا أعرف أصلاً شكل أمناء الغولة!

دعونا نعود لموضوعنا عن بنت الجيران.. نظرتي في الحياة هي: لا بد أن تحبها.. لا مفر.

حب بنت الجيران حقيقة ثابتة لا جدال فيها.. شيء بديهي.. كحب الشمس في الشتاء وحب القمر في الليل.

الجميع لا بد أن يقع في حب بنت الجيران.. والوحيد الذي لم يجرب هذا الحب هو الذي يسكن في صحراء وليس عنده أي جيران أو ليس عند جيرانه أي بنات مرافقات أنسات.

ربما نعتقد من هذه المقدمة الطويلة المملة أنني أحببت بنت الجيران لمجرد أنها بنت الجيران.. أو لأنني أؤمن بنظرية (لا بد أن أحبها).. لا.. وألف لا.
في قصتي.. الأمر يختلف تماما.

لقد أحببت (ناهد) بنت الجيران لأنها ببساطة: أجمل بنت في العالم.. لأنها ملاك هبط من السماء ليسكن في المنزل الذي يقابلنا.. لأنها وردة.. فراشة.. عصفورة.. غزالة قررت أن تكون جارتى.

وهذا من حسن حظي بالتأكيد! أعتقد أنني أكثر الناس حظا بسبب هذه الجيرة.

كنت أراها كل يوم وهي تكبر أمامي.. وتزداد سحرا وجمالا وأزولة يوما بعد يوم.

كنت أعتبرها خطيبتى غير الرسمية شير المعازنة.. ألا نرى بعضنا كثيرا مثل أى اثنين مخطوبين؟ ألا نتحدث مع بعضنا كثيرا عندما تجتمع العائلتين في أى مناسبة؟ بل إننى أذوق طيبخها عندما تهدينا أياها طبق طيبخ أو صينية حلويات وتقول أن انتهاهى التى صنعتها.. ما الذى يفرقتنا عن أى اثنين مخطوبين إذن؟

بل إننى أحبها أكثر من أى شئ يحب خطيبتى.. ومع كل فجر جديد يزداد حبها في قلبي.. قلبي الذى امتلكته منذ اليوم الأول الذى رأيتها فيه.. يوم انتقالهم للسكن أمامنا.

كنت أكره الجيران فيما مضى.. وأكره فكرة أن تطل نافذتهم علينا.. وتقتحم خصوصيتنا..

لكن عندما جاءت مع عائلتها لتسكن قبالتنا.. كان ذلك أسعد يوم في حياتي كلها.. فعندما رأيتها شعرت أننا محظوظون للغاية بهذه الجيرة الجميلة.. لقد أحببت الجيرة والجيران وكل جار منذ ذلك اليوم.

تمضت أن تطل نافذتها علينا وترانى وتقتحم خصوصيتى وتتنبه لى ولقلبي وتعرف مدى حبى لها.

المشكلة أنني أشعر في أحيان كثيرة أنها لا تعرف شيئا عن هذا الحب.. تتحدث معى كأنى أخيها (متولى).. لا تفكر في شيء آخر.

ربما هذا بسبب صغر سنها.. فهي في السنة الثالثة من المرحلة الثانوية.. وتركز في مذاكرتها ولا تشغل بالها بأى أمور أخرى.. أو ربما لأنها لا تفهم بعد فى أمور العشق والهوى.. ولا تستطيع شك شفرة نظرات الميون.. أو تنتبه لتنهيدات العاشق الولهان.. أو تلمح ذلك الجار الشاب الوسيم الذى ينتظرها كل صباح ليرامها من نافذة غرفته وهى خارجة من منزلها فى الساعة تماما.. يراقبها بكل حب.. يتأمل زيتها المدرسى الجميل.. يلمح كتب المدرسة التى تضمها إلى صدرها وهى سائرة كالغزال.. فينبط هذه الكتب.. ويتمنى أن يحل محلها.. يتأمل مشيتها الرشيقة الهادئة الواثقة.. ويظل يتابعها بعينه حتى تصل إلى نهاية الشارع.

ثم يعود إلى سريره ويمد يده تحت الوسادة ليخرج صورة لأمه فى أحد الأفراح.. وبها سيدات كثيرات وفى طرف الصورة فتاة شابة حسناء.. تدعى (ناهد).

بنت الجيران.

لقد أنتحقت بالجامعة ورأيت فتيات جميلات من جميع المحافظات وسافرت كثيرا لبلدان مختلفة ولكنى لم أرى فى حياتى أجمل من (ناهد). وهذا الأمر كان يحيرنى كثيرا.. كيف تكون أجمل فتاة فى العالم هى جارتى؟ إننى لمحظوظ حقا.

وسأكون محظوظ أكثر عندما أجدها تحينى مثلما أحبها.. أو على الأقل تعرف بمدى حبنى لها.. تعرف أنها الفتاة الوحيدة التى أحببتها منذ أن عرفت الحب.. وأنها بالنسبة لى الحب وكل الحب ولا شيء غير الحب.

سمعت من والدتى فى ذلك اليوم أن جارتها أم (ناهد) قد أخبرتها أن هناك شابا من بلدة أخرى قد تقدم لخطبة (ناهد) ولكن والدها رفض.

لماذا؟

تقول أن والدها لم يعجبه المريس أو عائلته.

وهذا يعنى أن والدها ليس معترضا على الخطبة فى هذا السن.. ولكن اعتراضه كان على المريس وعائلته فقط.

إنها لا تزال طالبة في الثانوية العامة ويأتيها الخطاب من بلدنا وبلاد أخرى.. فهذا ليس أول عريس.

متى أتقدم أنا إذن لخطبتها؟ عندما تتزوج وتنجب!!
لا بد أن أتقدم لخطبتها الآن قبل ذهابها إلى الجامعة.. فهناك سيراما شباب أكثر بكثير من الذين يأتون لقرينتنا ويلمحونها بالصدفة.
سوف أخطبها وهي لا تزال في الثانوية.. وأتزوجها عندما تكون في الجامعة.. ولو اشترط أبيها أن أنتظرها حتى تنهى دراستها الجامعية.. سوف أنتظرها.

إن (ناهد) تستحق الانتظار.. ليس شهورا فقط ولا سنوات فقط.. تستحق الانتظار العمر كله.. ولكن قبل أن أتقدم لخطبتها لا بد أن أخبرها بمشاعري أولا.

لا أعتقد أن أبيها أو أمها أو أخيها قد يعترض عليّ.. أنا عريس مناسب.. وابن الجيران.. أي أن ابنتهم لن تبتعد عنهم كثيرا.. سيطمئنون عليها باستمرار.
المشكلة في (ناهد).. أخاف أن تعترض عليّ.. لا أعلم سبب مخاوفي تحديدا.. ولكن لدى بعض المخاوف أن تعترض على زواجها مني.

لذا لا بد قبل أن أتقدم لخطبتها أن أعرف أولا رأيها في كعريس متقدم لها.. لا بد أن أخبرها بمشاعري نحوها.. وأعرف رأيها في بمنتهى الصراحة بدون أي ضغوط عائلية من جانب أبيها أو أمها أو أي أحد.
أريد أن أعرف مشاعرها نحوي.. هل تبادلني المشاعر؟ أم أنها لا تشعر بوجودي من الأساس؟

لم التأجيل؟ إلى متى سأنتظر؟ هل سأظل طوال عمري أراقبها وهي ذاهبة إلى المدرسة وأتية من المدرسة ولا أفعل شيئا غير ذلك؟ هل سأنتظر أي مناسبة سعيدة حتى أتحدث معها وأكتفى بذلك؟ لا طبعاً.

سوف أقوم بخطوة إيجابية اليوم.. سوف أصرحها بكل شيء وليكن ما يكون.

هي الآن في المدرسة.. سأذهب إلى هناك وأنتظرها.

وارتديت ملابسى بسرعة وخرجت من منزلنا.. رأيت باب منزلهم.. كان الباب مفتوحا.. وأمها فى الشارع تكس أمام المنزل.. سلمت عليها وقلت:
صباح الخير.

صباح النور يا أستاذ (إيهاب).

أعتقد أن أمها ترتاح لى وسوف ترحب بى عريسا لابنتها.. أى أم فى العالم تحلم بأن تسكن ابنتها بجوارها لتطمئن عليها باستمرار.. (شقتى جاهزة يا حماتى وأتمنى أن تنيرها ابنتك).

تركت حماتى المستقبلية تكمل عملها المنزلى وذهبت إلى مدرسة (كفر البهور) الثانوية المشتركة لأصارع ابنتها بحسب لها.

(٢)

وقفت أمام بوابة المدرسة المغلقة بالجنزير والقفل حتى يمنوا المدرسين قبل الطلبة من الخروج أثناء اليوم الدراسى.
وقفت حائرا.. لا أدرى ماذا أفعل.

كم الساعة الآن؟ هل أنتظر حتى موعد الانصراف عند نهاية اليوم الدراسى؟ هل جدولها به خمس حصص أم ست أم سبع؟ ماذا أفعل الآن؟
مدرسة (كفر البهور) الثانوية المشتركة تطل على أراض زراعية من ثلاث جهات.

قررت أن أتمشى قليلا بجوار هذه الأراضى ثم أجلس فى ظلال أى شجرة كبيرة منتظرا (ناهد).. لا بد أن أتحدث معها اليوم وأصارعها بمشاعرى.

لكن.. هل لدى الشجاعة الكافية لفعل ذلك؟ هل سأستطيع أن أعبر بلباقة عن مكنون صدرى تجاهها؟ هل سأستطيع؟ هل؟

إن (ناهد) هى الفتاة الوحيدة التى يخفق قلبى بعنف لذيد عند رؤيتها.. ترتفع درجة حرارة جسدى عندما أقرب منها.. يضيع الكلام منى وأنسى

رووف الهجاء عندما أتحدث معها.. يسرح خيالي ويضيع تركيزي عندما
أحدث معي.. فكيف أعبر لها عن مشاعري إذن وأنا أكون في تلك الحالة
الأسعبة عندما أكون برققتها؟

سمعت جرسا.. نظرت في ساعتى.. ثم رأيت طلاب وطالبات يخرجون من
أبواب المدرسة.. متى فتحوها؟

إن هذا هو جرس الفسحة إذن.

مدتها ساعة كاملة لذا يفتحوا البوابة ليخرجوا الطلاب.

هل ستخرج (ناهد)؟ أم ستظل بالمدرسة؟

وقفت أمام البوابة.. أدقق في الوجوه لعلى ألمح وجهها الجميل بينهم.

مر بعض الوقت حتى لمحت وجهها فى النهاية.. طرت من السعادة واتجهت
نحوها مباشرة مخترقا زحام الطلاب.. ثم فجأة اختفت ولم أعد أراها.. أين
ذهبت؟

بحثت عنها مرة أخرى.. ثم لمحتها.

كانت تعدو على الطريق الزراعى مبتعدة عن المدرسة.. هذا الطريق عكس
اتجاه بيتها.. لا أعلم إلى أين هى ذاهبة.

الحمد لله أنها وحدها.. يمكننى الآن أن أصارحها بحبى دون أن يرانا
أحد.

أسرعت الخطى نحوها.. كنت أريد أن أقلل المسافة بيننا فهى تجرى بسرعة
كبيرة.. ولكنى فوجئت بها تتوقف فجأة..

هذا جميل! هذا سيقال المسافة بيننا كثيرا.. فقد أرمقني الجرى وراءها..
وأنا لا أريد أن أتحدث معها وأنا بهذا الإرهاق.. أنا أريد أن أكون فى حالة
استرخاء تام حتى أستطيع التحدث معها بلباقة شديدة.

رأيتها تجلس على جذع شجرة قديم ملقى على الأرض منذ زمن بعيد..

سرت نحوها ببطء شديد.. لأستعيد هدوئى.. وألتقط أنفاسى.

تلقت حولى.. لا أحد قريب.. الكل مشغول بأموره.. الفرصة ممتازة للتعبير
عن المشاعر.

لابد أن أرتب كلماتي قبل الحديث معها.. ماذا أقول؟
 سأكون صريحا ومباشرا.. شيء مثل:
 . أحبك .

ربما تفهمني بطريقة خاطئة.. لذا من الأفضل أن أقول:
 . أحبك.. وأريد الزواج منك .
 لا.. سألقى التحية أولا.. وقبل أي شيء.
 . السلام عليكم.. أحبك.. وأريد الزواج منك .
 أو..

. مساء الخير يا (ناهد) .. أحبك.. وأريد الزواج منك .
 ثم أضيف:
 . ما رأيك؟
 أو..

. هل أنت موافقة؟
 أو..

. هل تحبيني؟

لا.. لا.. فلتعد إلى (ما رأيك؟) أعتقد أنها أفضل بكثير من الأخيرة.
 كيف سيكون رد فعلها.. هل تكتفى بالابتسام والصمت؟
 وكما يقولون (السكوت علامة الرضا).

سيحمر وجهها خجلا بالتأكيد... تنظر إلى الأرض ثم تفر هاربة من أمامي..
 وقد تقول شيئا مثل:

. تحدث مع أبي.. لا تتحدث معي.

وتكون هذه الجملة بمثابة إشارة لوافققتها المبدئية.

أوربما تبين لي ضيقها من أسلوب وطريقي فتقول شيئا مثل:
 . لا يجس ما تفعله.. سأخبر والدتك.

أو قد يتطور الأمر إلى صدمة على وجنتي.. كرامتي المجروحة ستبكي كثيرا.. وقلبي سيفرح بهذه اللمسة الدافئة.. وعملي سيفرح بأخلاقها الرفيعة. ربما يتطور الأمر أكثر إلى نزع جذائها واستخدامها في تلميذتي درسا قاسيا وربما تستدعي بمض زميلاتنا ويمرف بمض المدرسين بالأمر وتقول للجميع: إنه يماكسني.

أتمنى ألا تحدث فضيحة.. نيتي سليمة والله العظيم.

نزعتي نفسي من خواطري المخيفة.. ونظرت إلى فتاة أحلامي.. كانت لا تزال جالسة على جذع الشجرة.. رأيتها تلنقط عصا قديمة ملقاة بجوارها على الأرض.. وتستخدمها كقلم لتكتب وترسم على التراب بين قدميها.. لم أستطع رؤية إبداعها الفني لأني كنت على مسافة بعيدة عنها. كانت تكتب وترسم ثم تمسح بجذائها ما خطته بعصاها على الأرض الترابية.

فكرت.. هل أذهب إليها الآن؟

اقتربت أكثر منها دون أن تلمحني.. كنت أختبئ وراء الأشجار.. رأيتها ترسم بالعصا قلب كبير على الأرض ثم تكتب شيئا ما بداخله. تساءلت: ما الذي كتبت؟ ولماذا تجلس هنا؟ هل تنتظر أحدا؟ وقررت أن أتجه نحوها وأسألها بنفسى.. ثم بعد ذلك أصارحها بمشاعري.

ولكن..

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

فقد ظهر (فتحي).

لا أعرف من أين أتى وما الذي جعله يأتي هنا في هذه اللحظة.. سيفسد خطتي تماما.. أتمنى أن يرحل سريعا دون أن يراني أو يرى بنت الجيران. فوجئت به يتجه نحوها.. ما الذي ينوي فعله هذا الشقي؟ رأيت يده يده لها.. ما هذا؟ ما الذي يفعله؟

اندهشت عندما رأيتها تمسك يده وتنهض.. وعلى شفقتها ابتسامة كبيرة..
ثم سارا متشابكى الأيدي على الطريق الزراعى مبتعدين عنى وعن المدرسة.
انتظرت حتى ابتعدا كثيرا ثم ذهبت إلى جذع الشجرة الذى كانت تجلس
فوقه ونظرت لأسفل لأعرف ما كتبته بعصاها على الأرض.
رأيت رسم لقلب كبير وبداخله اسم واحد فقط..
(فتحى)

(٢)

(فتحى السعداوى)

هذا هو اسم الشخص الذى سار مع (ناهد) بنت الجيران.. أعرفه جيدا
فهو أحد أصدقائى.. وكان زميلى فى الدراسة.. من الابتدائية حتى الثانوية.
أعلم أنه يغيب كثيرا عن محاضرات كليته.. الآن عرفت أين يذهب.
ربما يتقابلها هنا كل يوم.
ما العمل الآن بعد أن عرفت ما عرفت؟ هل أخبر أهلها ليبعدونه عنها أو
يبعدونها عنه؟
سأخبرهم.
لكن.. كيف؟

لن أذهب طبعا وأقول لهم: ابنتكم (ناهد) تسير مع (فتحى).

هذا غير لائق أبدا.

حتى إذا أخبرتهم بما رأيتهم فسوف يسألونى (كيف عرفت بكل هذا؟) لن
أستطيع إخبارهم أنى كنت أسير خلفها.. ولو قلت أننى رأيتها بالصدفة..
فربما تعرف (ناهد) أننى الواشى وتكرهنى للأبد لأنى فرقت بينها وبين
حبيبها.. وأنا لا أريد هذا.

أنا أريد أن أبعد عنها دون أن تعلم أنني السبب.. حتى أظهر بعد ذلك في الصورة فتحتني بدلا منها.

لذا.. لن أستطيع إخبار عائلتها بنفسى.

ظلت أفكر طوال اليوم.. كيف أخبر عائلتها بما رأته دون أن يعرفوا ذلك منى؟

في نهاية اليوم.. توصلت لفكرة عبقرية..

خطة شيطانية!

لقد تذكرت أنى لمحت أمها في يوم من الأيام تقش كتبها عند عودتها من المدرسة.. وربما تفعل هذا كل يوم لتطمئن على سلوك ابنتها.

إذن فلنحمل أمها تشاهد الدليل بنفسها.. دليل على وجود علاقة حب بين (ناهد) ابنتها وبين (فتحى السعداوى).

سأضع هذا الدليل في كتب (ناهد) لتراه أمها عند قيامها بعملية التفتيش.

لكن.. كيف سأضع هذا الدليل في كتب (ناهد)؟

والسؤال الأهم: كيف سيكون هذا الدليل؟

الإجابة: الدليل سيكون رسالة غرامية من (فتحى) إلى (ناهد)..

أحضرت كشكول دروس قديم يخص (فتحى).. كان عندي منذ زمن.. ونسيت أن أتخلص منه.. لم أكن أعلم أنه سيفيدنى في هذا اليوم.

حاولت تقليد خط (فتحى) وأنا أكتب الرسالة الغرامية.. وأنهيت الرسالة بتوقيعه.. سوف تجد أمها الرسالة الغرامية.. فتعرف ما بينهما.. وتسير الأمور كما أتمنى..

ويتم التفريق بين (فتحى) و(ناهد).

وقفت أنتظرها في طريق عودتها من المدرسة.. لمحتها من بعيد فأتجهت

نحوها.. وكأنتى لا أراها وانشغلت بالنظر إلى أى شىء على يسارى.. وبمجرد أن
مرت بجوارى اصطدمت بها.. أو بمعنى أدق صدمت ذراعى بذراعها فأسقطت
كتبها كلها أرضا.

كما أخبرتكم من قبل.. هى تحمل كتبها وكراساتها بيديها.. وهذا طبيعى
جدا فى الأرياف.. أما فى المدن فلا بد من حقيبة مدرسية.
انحنيت بسرعة أجمعهم لها وأنا أعتذر.. أعتذر بكثرة.
قالت بابتسامة عذبة:

لا تعتذرا يا أستاذ (إيهاب).. الأمر لا يستحق.

أسف.. أسف جدا.

كفى أسفا.. أنت لم تتعمد هذا بالتأكيد.

ولكنى كنت متعمدا.. ففى اللحظة التى سقطت فيها الكتب وانحنيت لأجمعها
لها.. كنت أحشر الرسالة الغرامية بين أوراق أحد الكتب.

أعطيتها الكتب بابتسامة لطيفة.. أخذتهم منى وشكرتنى ثم استكملت
طريقها نحو بيتها.

كنت سعيدا للغاية.. أول خطوة فى خطتى قد نجحت.

(٤)

وقفت بجوار النافذة التى تطل على بيتهم.. كنت أنتظر حدوث شىء.. أى
شىء.

وفكرت.. ماذا لو لم تفتش أمها كتبها؟ ماذا لو اكتشفت (ناهد) الرسالة
قبل أن تصل لبيتها؟

مئات الاحتمالات والأفكار تتسلل إلى عقلى..

فكرت فى الذهاب إلى الشرفة الشرقية.. سأكون هناك قريبا جدا من

نافذة حجرتها وأرى ما سيحدث عندما تجد أمها الرسالة الغرامية.

أبى قد نهانى عن دخول هذه الشرفة.. واعتبرها منطقة محرمة بالنسبة لى لأنها تطل على نافذة حجرة نوم (ناهد) بنت الجيران، وقد يتسبب دخولى لها مشاكل مع عائلتها.

لكنى سأمويت من القلق.. لا بد أن أعرف ما الذى سيحدث.. لذا ذهبت على الفور إلى هناك.

كنت وحدى فى البيت وهذا شجمنى كثيرا على دخول الشرفة.. لن يعرف أحد أنى تجاوزت الخط الأحمر.

اختبأت خلف الغسيل الذى نشرته أمى بداخل الشرفة.. وطبعا هى الوحيدة المسموح لها بالدخول هنا.. هذا شىء يديهى.

استخدمت الغسيل المنشور كساتر مناسب لى.. أستطيع من خلاله أن أرى كل شىء فى حجرتها الجميلة من خلال نافذتها أما هى فلا تستطيع أن ترى تلك العين التى تراقبها من خلف الغسيل.

كانت تقف فى حجرتها بالملابس المدرسية.. لم تكن سعيدة أو حزينة.. ألقبت بكتب الدراسة على مكتبها الصغير.. فسقط واحدا منها على الأرض.. فأنجنت لترفعه ثم رأيت نظرة حيرة فى عينيها.. يبدو أن الرسالة قد خرجت من الكتاب عند سقوطه.. عرفت أن تخمينى صحيحا عندما رأيتها ترفع الرسالة بيدها اليسرى بينما ترفع الكتاب بيدها اليمنى.

نظرت إلى الورقة مندهشة.. من الواضح أنها تراها للمرة الأولى.. لا بد أنها تتساءل (ما هذه الورقة؟! ومن وضعها فى كتبى؟)

متى ستدخل أمها؟ أتمنى أن تدخل الآن وتقابأ بالرسالة الغرامية فى يد ابنتها.. وينتهى كل شىء.

فردت (ناهد) الورقة، فوجدتها رسالة من حبيبها (فتحى).. قرأتها باهتمام وسعادة وحب.

ذهبت إلى حجرتى لأخرج نسخة أخرى من الرسالة من درج مكتبى.. ثم عدت للشرفة ورحت أقرأ ما كتبته لها فيها وكأنى أفرؤه معها فى نفس اللحظة..

كان نص الرسالة ما يلي:

حبيبتي ناهد

أريد أن أراك اليوم في تمام الساعة الخامسة.. في نفس المكان الذي نتقابل فيه دائما.. سأنتظرك عند الساقية القديمة.

حبيبك الوحيد

فتحى

لا بد أنها تتساءل (لماذا وضع (فتحى) الرسالة بهذه الطريقة المجيبة في كتبها؟ ولماذا لم يطلب منها هذا شفويا أثناء اللقاء؟ ولماذا يريد لها في هذه الساعة بالذات.. وفي هذا المكان؟ ما هو الأمر الذى يريد أن يراها من أجله؟ لماذا لم ينتظر لليوم التالى ويخبرها به؟) وأعتقد أنها لن تستطع التوصل لأى إجابة من هذه الأسئلة.

رأيتها تحرق الرسالة بعد أن قرأتها.

لقد احترق الدليل.. فشلت الخطة.

كانت فكرة غبية!

سوف تسأل (فتحى) فى الصباح عن الرسالة.. سيخبرها أنه لم يكتب شيئا.. ما العمل الآن؟

هجأة سمعت صوت أبى..

يبدو أنه قد عاد من عمله..

لورأتى هنا ستكون كارثة كبرى.

(٥)

خرجت من الشرفة بسرعة وأغلقت بابها وذهبت إلى غرفتي دون أن ينتبه أبى لذلك.

نجوت بأعجوبة!

جلست بجوار النافذة لساعات وأنا مفتاظ أن أمها لم تفتش كتبها..
وفجأة لمحتها خارجة من بيتها وسمعتها تقول لأمها أنها ذاهبة إلى صديقتها
(سعاد).. نظرت في ساعتى كانت الخامسة بالضبط..

هل هذا ممكن؟

لم يخطر في بالى هذا الاحتمال.

إنها ذاهبة إلى الساقية القديمة.. خلف مدرستها.

إذن هى صدقت ما كتبتة.. معنى هذا أن أسلوبى مؤثر ومقنع لدرجة أنها
تخرج للقاء (فتحى) فى هذا الوقت وفى ذلك المكان.

أين الأسلوب؟ أنا لم أكتب سوى كلمات بسيطة.. وهذا يعنى أنها ذهبت
لأنها تحب (فتحى) جدا.. لدرجة أنها تنفذ ما يطلبه منها دون تفكير.

ماذا أفعل الآن؟

هل أذهب إليها وأخبرها بالحقيقة.. حقيقة الرسالة.. ثم أنصحها بالابتعاد
عن (فتحى)؟ أم أفكر فى خطة جديدة للتفريق بينها وبينه؟

نظرت من النافذة.. لمحت أخيها (متولى) يخرج هو أيضا.. بمعنى أدق
خرج وراءها.. ليراقبها على الأرجح.

أستنتج من ذلك أن لديه شك فى سلوكها..

ماذا أفعل إذن؟

وفجأة خطرت لى فكرة شيطانية.. قررت تنفيذها على الفور.. أمسكت
سماعة الهاتف واتصلت بمنزل (فتحى).

سمعت صوتا على الطرف الآخر فقلت:

.ألو.

رد قائلا:

.من؟

.أنت (فتحى)؟

.نعم.. من المتحدث؟

الحمد لله إنه هو.. قلت له:

.أنا (إيهاب).

. (إيهاب) من؟

. (إيهاب وجدى).

.آه.. أين أنت؟ لم أعد أراك منذ فترة.

.الكلية تأخذ كل وقتى.

.كيف حالك؟ لم أسمع أخبارك منذ زمن.

.الحمد لله.. بخير.

كيف أشرح له الأمر؟.. فوجئت به يقول:

.صوتك لا يريحنى.. هل هناك مشكلة؟

لقد سهل (فتحى) على الأمر تماما.. قلت له على الفور:

.لا أبدا.. إنها مسألة بسيطة.

.ما هى؟ أخبرنى.. ربما أستطيع مساعدتك.

قلت له مستغلا عرض المساعدة الذى قدمه لى:

.بالفعل.. أريد مساعدتك.. هل أنت مشغول الآن؟

.لا.. ما الأمر؟

.أنا ذاهب الآن إلى حقلنا الذى بجوار حقل الحاج (أبو زيدان).. هل

تعرفه؟

.نعم.

أتمنى أن يكون صادقا ويعرفه حقا.. قلت:

.كنت أريدك أن تاتى الآن لتساعدنى فى أعمال الحقل.. فهناك عمل كثير..

وأنا منهمك هذه الأيام ولا أستطيع القيام بهذا العمل وحدى.

.حسننا سأتى على الفور.. فأنت أخ وصديق عزيز.

. شكر جزيلًا.. يمكنك أن تأتي من ناحية الساقية القديمة لاختصار المسافة.

. أعلم الطريق جيدًا.. لا تقلق.

أغلقت السماعة بعد أن تأكدت أنه يعرف الطريق جيدًا.

نزلت مسرعًا لأرى ما سيحدث.. أخذت أتخيل كل شيء.. (ناهد) تنتظر (فتحي) عند الساقية القديمة.. حسب الموعد والمكان المكتوبين في الرسالة.

(فتحي) سوف يمر على الساقية القديمة حتى يصل إلى حقلنا ليساعدني.. ولكنه سيجد (ناهد) في طريقه.. أو أنها ستلمحه من مكانها.

بالطبع ستذهب إليه عندما تراه ويقضا يتحدثان لبعض الوقت.. فيرى أخيها (متولى) هذا اللقاء العاطفى ويندفع نحوهما.. ربما يصفع أخته صفتان أو ثلاثة ثم يقتل (فتحي) وتنتهى العلاقة التى بينهما.

طبعًا لن يقتل (فتحي).. أنا أمزح.

إن (متولى) لا يحب فكرة ذبح دجاجة فى الواقع.. والموضوع فى النهاية لا يستحق إراقة دماء من أجله.

لكن.. ما الذى سيفعله (متولى) حقًا؟

سأعرف بعد قليل.

(٦)

الساعة: الخامسة والربع

(ناهد) وافقة عند الساقية القديمة منتظرة (فتحي).. تختبئ خلف بعض الأشجار.

وأخيها (متولى) . ٢٠ سنة . يقف بعيدا يراقب أخته..

أما أنا.. أقف بعيدا عنهما أتابع ما سيحدث.

ثم أتى (فتحي) ..

فوجئ بوجود (ناهد) التى خرجت له من مخبئها.. تحدث معها.. لم أسمع شيئاً طبعاً لأنى أقف بعيداً جداً لكن يمكننى تخمين الحوار.

أعتقد أنه سيخبرها أنه سعيد بهذه الصدفة الجميلة التى جعلته يراها.. وهى ستخبره أنها أنت بناء على طلبه.. وتخبره أنها وجدت رسالته التى وضعها فى كتبها.. طبعاً سيخبرها أنه لم يضع أى رسائل فى كتبها وأنه لم يكتب لها أى شىء..

(متولى) أخبها لم يسمع حوارهما ولا يمكنه تخيل الحوار بالكامل مثلى.. لذا خرج من مخبئه.. وظهر على مسرح الأحداث..

أنا المتفرج الوحيد لهذه المسرحية التى دفعت بأبطالها لتنفيذ أحداثها كما خططت.. أى أنتى الكاتب والمخرج والمتفرج فى وقت واحد.

جاء الوقت لأرى النتائج..

صفعة قوية من (متولى) لأخته التى فوجئت بأخيها.. أما (فتحى) كان يلوح بذراعيه.. بالتأكيد يدافع عن نفسه..

سيقول أنه رآها بالصدفة.. وأنه كان ذاهباً إلى حقلنا ليساعدنى.. بالتأكيد لم يهتم (متولى) بما قاله (فتحى).. لأنى رأيتة يكيل له بالكلمات ثم يدفعه فيسقطه أرضاً.. ثم ينفض يديه بعدها.

لم يحاول (فتحى) ضرب (متولى) لأنه أخو حبيبته.. وربما لأنه متعاطف معه فى هذا الموقف.. ويفهم سبب عنفه الشديد معه.

عاد (متولى) إلى داره وهو يجذب أخته من ذراعها بقوة وعنق.

يا للقسوة!

وهى تبكى بحرارة شديدة.

يا للمأساة!

انتهت المسرحية الواقعية ورحلت أصفق لنفسى مبهوراً لأنى كاتبها ومخرجها.. وعدت إلى دارى سعيداً.

عند وصولى.. سمعت أصوات عالية من بيت الجيران.. بيت (ناهد) طبعاً وليس بيت جار آخر.. وسمعت صوتاً غليظاً يقول:

(٧)

تغيرت الأحوال كثيرا بعد ذلك..

لم تعد (ناهد) تقابل (فتحي) .. لأنها كانت خائفة من احتمال أن يكون (متولى) يراقب خطواتها.. وتخشى أن ينفذوا تهديدهم بمنعها من إكمال تعليمها إذا قابلت (فتحي) ..

أما (فتحي) فكان خائفا عليها.. لذا لم يحاول لقائها.. أو حتى معرفة أخبار عنها.. للحفاظ على سمعتها.. خاصة بعد تحذير أبيه الشديد له.

ولم تعلم (ناهد) من هو كاتب الرسالة الغرامية.. لم تشغل بالها بالأمر.. أو ربما تعتقد أن (فتحي) هو من كتبها فعلا ثم نسى ذلك أو أنه يكذب عليها.. أما (فتحي) فربما يظن أن (ناهد) قد اخترعت قصة هذه الرسالة.. وظللت أنا بعيدا عن الصورة.. لم يعلم أحد أنى من خططت لكشف قصة حبهما.

يمكننى الآن أن أقول بقلب مطمئن أن قصة حب (ناهد) و(فتحي) قد انتهت.. لتبدأ فصول قصة حب أخرى لنفس البطلة..

ولكن مع بطل آخر.

الآن.. المسرح قد أصبح خاليا تماما.. حانت اللحظة الحاسمة لأعبر لها عن مكنون صدري ومدى حبي الشديد لها.. لتبدأ بعد ذلك فى الانتباه لى.. ثم التصكير فى.. ثم الوقوع فى حبي.. ثم.. إلخ إلخ.

لكن.. كيف أعبر لها عن حبي؟ هذه هى الخطوة الأولى.

ليس أمامى سوى استخدام الرسائل.

أمسكت بالقلم وكتبت لها رسالة عاطفية جدا.. عبرت فيها عن مشاعرى المتهبة المتأججة.. طبعا خطى يختلف عن خط (فتحي) الذى قلدته فى رسالتي السابقة لها.

طويت الورقة عند انتهائى من الكتابة.. ثم تمرنت كثيرا فى حجرتى على قذف الورقة.. ثم انتظرت اللحظة المناسبة.

خرج الجميع من بيتها عدا هى.. ذهبت إلى الشرفة إياها لأكون أمام نافذة حجرتها بالضبط.

كورت الورقة ثم قذفها لكي تدخل من النافذة ثم تسقط على سريرها..
ولكن لم يحدث ما تمنيت.

بسبب حظي السيء ارتطمت الورقة بالجدار.. بجوار نافذتها مباشرة.. لم
تدخل حجرتها.. بل سقطت على الفور إلى أرض الشارع.

ولم تشعر (ناهد) بما حدث.

نزلت بسرعة لأحضر الورقة.. لكنني فوجئت بأهلها أمام البيت.. لم يرحلوا
بعد.. لمحت (متولى) يلتقط الورقة.. ويتلفت حوله ليعرف مصدرها.

فردها تماما.. وشرع يقرأ ما فيها.. وعيناه تبرقان بالغضب.. وعندما وصل
إلى نهاية الرسالة قرأ اسمي.

ما هذا الغباء! لماذا كتبت اسمي؟

ثم تذكرت أن الرسالة قد سقطت في الشارع بجوار (متولى) مباشرة..
وهذا يعني أنني الذي ألقيتها فلا يوجد بيت آخر يقابل بينهم سوى بيتنا.. وهذا
يعني أنني المرسل لأن أخوتي كلهم بنات.. لذا سيعرفوا أنني كاتب الرسالة سواء
وقعتها باسمي أو لم أوقعها.. وبالتأكيد لم تسقط الرسالة من ملائرة كانت تعبر
فوق بيوتنا.

نظر (متولى) إلى نافذة حجرتي.. لم يكن يعلم أنني نزلت إلى الدور
الأرضي.

صعدت بسرعة إلى حجرتي.. وأنا أدعو الله أن يمر هذا اليوم على خير.

كان يوما عصيبا تلقيت فيه من التوبيخ والسياب والإهانة من جميع أفراد
عائلتي وعائلتي ما يكفي لي عمر كامل.. ومن النصائح ما يكفي لخمس
مدرسة مشاغبين..

كلها تنحصر في جملا من نوعية (إياك أن تكلمها أو تبعث لها أي رسائل..
التقت لدروسك.. كليتك ليست سهلة.. دعك من تهور الشباب.. إلخ).

أسوأ ما في الأمر أن (ناهد) لم تعرف شيئا عن هذه الرسالة وما حدث
بسببها.

كانت أيام عصيبة بحق! لكنى لم أياس.

لا بد أن تعلم (ناهد) بحبى لها.. لن أراجع مثل (فتحي).. أنا أحبها أكثر منه.. وهى لى وأنا لها.. لا أستطيع أن أمنع نفسى عن رؤيتها فهى بنت الجيران.. أما (فتحي) فربما قد نسى شكلها الآن.

و(البعيد عن العين بعيد عن القلب)!

وأنا قريب جدا من عينها.. لكن هذا لا يكفى.. لا بد أن أكون قريبا من قلبها أيضا.. وفكرت من جديد فى إيجاد حل لمسألة التعبير عن حبى لها.

هل أكتب لها مرة أخرى؟ هل أتحدث معها؟ متى؟ وماذا أقول؟

وقفت فى الشرفة الشرقية.. كانت فى حجرتها.. جالسة أمام مكتبها تذاكر.. وقفت أتأملها حتى انتبهت لوقوفى.. لم يكن هناك غسيل فى بلكونتنا لذا رأتنى بوضوح ويسر.

لم أستطع الاختباء منها عندما لمحتنى.. ابتسمت بارتباك لها.. كان موقفا رائعا فلقد بادلتنى الابتسام.

يا لسعادتى!

تضرج وجهها بحمرة الخجل.. لا أعرف كيف أنصرف.. لم أجد أمامى سوى استخدام لغة الإشارة لأنى لو تكلمت قد يسمنى أحده.. وأنا قد دخلت خلصة إلى الشرفة دون أن يعلم أحدا بى.. لا أريد أن يعلم أبى بدخولى هنا حتى لا يفلقها للأبد.

كيف أعبر لها عن حبى باستخدام لغة الإشارة؟ كيف أشرح لها أنى

أحبها؟

لا أعرف.

لا بد أن أتعلم لغة الإشارة لمثل هذه المواقف!

لكن.. لا بد أن تتعلمها هى أيضا لتفهم وقتها اشاراتى.

ما العمل الآن؟

فجأة خطرت لى فكرة ونفذتها على الفور..

أحضرت سبورة سوداء صغيرة من غرفتي.. كانت هذه السبورة عندي منذ الصغر.. كنت أكتب عليها كثيرا في طفولتي.. لم أكن أعلم أنني سأستخدمها وأنا في الجامعة.

أمسكت بإصبع الطباشير.. وكتبت عليها بخط كبير كلمة واحدة.. واحدة فقط.

نهضت (ناهد) من مقعدها أمام المكتب ونظرت للسبورة وقرأت الكلمة فابتسمت خجلا واحمر وجهها بشدة.. ثم أغلقت النافذة.

خرجت من الشرفة وعدت سعيدا إلى حجرتي وأنا أحمل السبورة التي عليها كلمة واحدة هي:

(بحبك).

(٨)

بعد تخرجي من الجامعة تقدمت لطبيب بي (ناهد).. اليوم الذي انتظرته كثيرا.

وافق أهلها ورحبوا بي..

وتمت الخطوبة.

وصرت أحمل في إصبعي دبلة تؤكد أن حلمي قد تحقق.. لقد خطبت (ناهد)

بنت الجيران.

كانت أجمل أيام حياتي هي فترة الخطوبة.

ثم انتظرت حتى أكملت تعليمها الجامعي ثم حددنا يوم الفرح.

كانت الأغنية الشهيرة (طالعة من بيت أبوها.. رايحة لبيت الجيران) تصف حالة (ناهد) بدقة شديدة.. كنت أسمع هذه الأغنية الشعبية الشهيرة وأنا أجلس بجوارها في الكوشة..

كانت أجمل من أي مرة رأيتها فيها من قبل.. بينما أنا كنت أسعد من أي

مرة كنت فيها معها من قبل.

أصوات الزغاريد من الأهل والأقارب والأصدقاء تتعالى في المكان.. والكل يصفق بسعادة ويشاركنا فرحتنا.. وتبرعت بمض النعومة بالرقص وأظن أن أحد أسيايب رقصهن هو احتياجهن الشديد لتخفيض أوزانهن.. الكل سعيد مسرور فرحان وكل واحد يمر بطريقته الخاصة عن فرحته.. ثم ظهر (فتحي)..
حبها القديم.

سلم (فتحي) على رأسا ابتسامة ضعيفة باهتة على شففيه وقال:
.. ألف مبروك يا (إيهاب).

نظرت إلى يده اليسرى جيدا لأتأكد من أنه لا يحمل سكينًا مسموما.. قلت
له:
.. الله يبارك فيك يا (فتحي).

رأيته يمد يده إلى عروستي ويسلم عليها بأطراف أصابعه.. قال بصوت
منخفض واهن:
.. ألف مبروك.

خيل إلى أن (ناهد) سوف تهكي وتدفع نحوه وترتمى بين أحضانها ثم
تقول:

.. خذني يا (فتحي).. لا أريد (إيهاب).. لا أريده.. أنا أحبك أنت فقط.
ولكن لم يحدث هذا.. الشيطان اللعين لعب بمقلي.

لقد احتفظت (ناهد) بهدوء أعصابها.. لا أعلم ما الذي يجول بخاطرهما..
هل تكتم مشاعرهما نحوه؟ أم أن مشاعرهما نحوه اختفت للأبد؟
كنت أخشى (فتحي) طوال الفرح.. توقفت حديث أشياء كثيرة.. بيد أن
الشيطان اللعين قد لعب بمقلي كثيرا.. لم أطمئن إلا بعد انصراف (فتحي).
وانتهى الفرح على خير.

ثم طرقت مع عروستي لتنقضي شهر العسل في الدولة التي أعمل بها.

أجمل شهر فى حياتى كلها!

بعد مرور ثلاث أشهر على زواجنا..

بدأت الشكوك تراودنى عندما بدأت أتلقى مكالمات غامضة.. مجهولة.. لا أعرف وقتها من المتصل.. كان الهاتف يرن كثيرا.. وعندما أرفع السماعة لا أجد أحدا يرد.

وأحيانا كنت أدخل على (ناهد).. أجدها تتحدث مع أحد فى الهاتف.. ثم تنهى المكالمة فجأة بمجرد رؤيتها لى.

وعندما أسألها عن الطرف الآخر.. تقول:

.الرقم خطأ.

وأحيانا تقول أنه أحد أفراد عائلتها أو واحدة من صديقاتها.. لكنى أعتقد أنه (فتحى السعداوى).

حبها الأول.

(٩)

ازدادت شكوكى يوما بعد يوم.. أصبحت حياتى جحيما.. قررت أن أصارحها بشكوكى نحوها.. وأخبرها أنى أشك أنها مازالت تحب (فتحى) وربما تقابله فى الخفاء من ورائى.

وبالفعل..

جاء هذا اليوم الذى صارحتها فيه بهذه الشكوك..

كان رد فعلها عنيفا جدا.. قالت أنى إنسان شكاك.. وأنها قد نسيت (فتحى) تماما منذ أن تقدمت أنا للزواج منها.. بل منذ أن صارحتها بحبى لها عندما كتبت كلمة (بحبك) على السبورة.

حزنت حزنا شديدا بسبب شكوكي نحوها وأخبرتني أنها نادمة الآن على
حيها الشديد لى.

بصراحة.. شعرت بتأنيب ضمير بسبب غيرتى الشديدة عليها وشكوكي
السيئة فيها.. والتي لا أساس لها من الصحة.. عقلى المريض هو الذى صنع كل
هذا.. وغضبت من نفسى كثيرا خاصة عندما فاجئتني قائلة:

.كيف تغار من شخص ميت؟

.ماذا؟

.لقد مات (فتحى) بعد أسبوع من زواجنا.

رفعت ابنى الصغير (فتحى) عاليا فأخذ يطلق ضحكات طفولية جميلة..
ثم أنزلته على الأرض ليستكمل لعبه بالمكعبات.. ثم ذهبت إلى المطبخ لأسأل
(ناهد) عن ابننا (متولى) فقالت أنها لا تعرف مكانه.

بحثت عنه كثيرا فى الشقة حتى وجدته.. كان واقفا فى الشرفة يحادث بنت
الجيران.

ابتسمت عندما شاهدته.. وقتت أتأمله وأتذكر صفحات قديمة قد طويت
من الذاكرة..

كان (متولى) الصغير يقف على الكنية.. يكتب على الحائط بالطباشير..
كلمة واحدة فقط.. نظرت إلى بنت الجيران.. تلك الفتاة الصغيرة.. كانت
تبتسم بخجل عندما قرأت ما كتبه (متولى) لها.. ثم أغلقت نافذتها.

كانت الكلمة التى كتبها (متولى) هي..

(بعبك)

" استيقظ.. استيقظ يا (إيهاب). "

كان هذا هو صوت أمي.. توقظني من النوم.. ولم تكنتى بصياحها بل
أمسكت الوسادة وضربت بها ساقي.. قلت لها:

. كفى.. كفى.. لقد استيقظت.

ثم أردفت قائلاً:

. لقد كنت أحلم حلمًا جميلًا.

. دعك من الأحلام.. وجهز نفسك لتذهب للفرح.

نظرت من النافذة.. وجدت المصابيح الملونة مضاءة.. وسمعت الزغاريد
العالية.. والموسيقى الصاخبة تملأ المكان.. والزينات معلقة على بيت
الجيران.

بيت (ناهد)..

ابتسمت ابتسامة باهتة.. وقلت بصوت هامس لا يسمعه أحد..

. ألف مبروك يا (ناهد).

فتلك الليلة هي ليلة الحنة..

(ناهد) حبيبتي سوف تتزوج (فتحى).. حبيبها الوحيد.

في يوم الحنة حسب تقاليدنا تجلس العروسة وحدها في الكوشة.. وتتبرع
صديقتها أو أحد أقاربها بكتابة أسماء الذين يردون لها النقطة في تلك الليلة
والتي دفعتها لهم يوماً ما في أفراح عندهم.. أي أن العروس تجمع في تلك
الليلة ما دفعته طوال عمرها.. وقد تأخذ نقطة من أناس لم تدفع لهم نقطة
من قبل.. فتنتظر أي أفراح قادمة لهم لكي تقوم بتسديدها.. وحينئذ صارت
النقطة تُرسل في أطرف مغلقة عليها اسم صاحبها.. فيرجعهم بهذه الطريقة
من الكتابة.

وأحياناً يأتي العريس يجلس بجوارها بعض الوقت ثم يتركها ليذهب إلى
منزله حيث يتبرع أحد أقاربه أو أصدقائه بتسجيل أسماء دافعي النقطة أيضاً
من أجله والمبالغ التي دفعوها أو يستلم الأطرف المغلقة منهم.. إلخ.

نزلت من بيتنا بعد أن ارتديت أجمل ملابسى وتمطرت بأفضل العطور..
دفعت أختى النقطة بينما أتجهت أنا للعريس وسلمت عليه وباركت له.. سلم
على بحرارة شديدة وهمس فى أذنى قائلاً:

. عقبالك يا صديقى العزيز.. أتعلم أنك السبب فى تحقيق حلم حياتى..
وهو الزواج من (ناهد)؟

لا يسمع أحدا ما نقوله.. صوت الأغانى عال جدا.. والكل مشغول بها..
سألته باهتمام:

كيف هذا؟

هل تتذكر ذلك اليوم الذى اتصلت بى فيه من أجل طلب مساعدتى؟
نعم.

لقد فوجئت بـ (ناهد) تقف عند الساقية القديمة وأنا فى طريقى إليك..
فرأنا أخاها فأبلغ والده.. وفى اليوم التالى استدعانى فأخبرته أنتى قابلتها
هناك بالصدفة وأخبرته أيضا أنتى أحبها.. وأريد الزواج منها.. فرحب بى..
فذهبت أنا وعائلتى فى يوم آخر وتقدمنا لطلب يدها بشكل رسمى.. لذا أشكرك
يا صديقى لأنك اتصلت بى فى هذا اليوم.

ابتسمت وقلت مرة أخرى:

ألف مبروك.

ثم تذكرت الحلم الذى حلمته.. حلم ابتعاد (ناهد) عن (فتحى).. وأنى
صارحتها بعبى عن طريق كلمة على سبورة.. يا لسخافة الأحلام!

وأنى تزوجتها.. و(فتحى) مات.. وأنجبت منها (فتحى) و(متولى).
يا سلام!

وحلمت بأن (متولى) ابننا يحب بنت الجيران أيضا..

ويكتب مثلى كلمة (بحبك) ولكن على الحائط المقابل لنافذتها.

يا حلااااوة!

تناسيت هذه الأحلام التى هى أجمل من أن تتحقق..

نظرت إلى (ناهد) التي ازدادت جمالا وبريقا في تلك الليلة.. مددت يدي
برقة ناحيتها وقلت بصوت حاولت أن يكون مسموعا:
. ألف مبروك يا (ناهد).

سلمت عليّ بابتسامة رائعة.. قلبي يخفق بعنف شديد.. اهدأ يا قلب.. ارقد
في سلام.
قالت لي:
. عقبالك يا (مُهاب).

(مُهاب)!!! إنها لا تعرف اسمي حتى.. كل هذا الوقت لا تعرف أن اسمي
هو(إيهاب)! أو ربما نسيته.. بالتأكيد نسيته.. لأنها تعرف اسمي جيدا
وخاطبتي به كثيرا.. لكن كيف نسيته؟.. ربما لأنها مرتبكة بسبب الفرح..
وربما أكون سمعتها بطريقة خاطئة.. بالتأكيد لم أسمعها جيدا.
لم أحاول تصحيح الاسم لها.. أو السؤال إن كانت تعرف اسمي أم لا..
لا يهم ذلك الآن فربما لا أراها مرة أخرى.. فمن الغد سوف تنتقل لبيت
آخر.. بيت بعيد تماما عن بيت أهلها..
بيت الجيران.

(١١)

سمعت من والدتي أن جيراننا الذين سافروا منذ خمسة عشر عاما إلى
الولايات المتحدة الأمريكية سوف يعودون الآن ليستقروا في بلدهم الأصلي
مصر.

وعرفت منها أيضا أن لديهم ابنة اسمها (هايدي) عمرها ثمانية عشر عاما
وليس لديها أي أخوات بنات أو صبيان.. باختصار لا يوجد عندهم (متولى).
وأنهم قد ربوها تربية مصرية سليمة.. وصمموا على أن يزوجوها من شاب
مصرى يحترم تعاليم دينه وأصول مجتمعه.

وأنتهم لا يريدون أن تبتعد ابنتهم عنهم لذا من المرجح جدا أن يزوجوها واحدا من أبناء قريتهم.

أوزوجوها في نفس المنزل الذي يسكنون فيه لأنه منزل واسع كبير يتكون من أربع طوابق.. ويسع من الحبايب أيضا

ما لا تعرفونه أيضا عن هذا المنزل هو أنه يقع في ناحية الغرب من منزلنا المتواضع.. وهذا يعني أنني لووقفت في شرفة غرفتي.. سوف أراها بسهولة ووضوح.

شفتي جاهزة وأنا جاهز وحسب المواصفات المطلوبة في العريس.

وجاء اليوم المنتظر.. يوم وصولهم.. وكنت أنتظر هذا اليوم على أحر من الجمر.. شعرت أن هذه الجارة الجديدة جاءت لتموض خمارتي في (ناهد) التي كنت أعتقد أنها لن تموض أبدا.

سمعت ضجيج في المنزل المجاور لنا من ناحية الغرب فعرفت أنهم قد وصلوا.

يا مرحب يا مرحب!

كنت متلهف جدا على رؤيتهم والتعرف عليهم وتوطيد روابط الجيرة معهم.

سمعت صوتا عاليا يقول:

. (هايدي).. أين أنت؟

. أنا هنا في الشرفة.

.. كان صوتها قريبا جدا من شرفتي.. صوتها جميل جدا.. يذكرني بصوت (ناهد).

يا لحسن حظي! ستكون أول واحدة أتعرف عليها من عائلتهم هي الفتاة نفسها.. فتحت باب الشرفة الغربية وقلبي يخفق بمنف شديد.. كنت أغمض عيني حتى أستعد لرؤيتها.

. مساء الخير.

لقد رأيتني (هايدي) وتلقى علي التحية.. صوتها أعذب ما يكون.

فتحت عيني لأراها..

و..

الآن عرفت شكل (أمناء الفولة)!

(تمت بحمد الله)

ثمة شيء مريب
بخصوص (سونيا)

هل سمعت عن (سونيا)؟

لو أنك مررت من هذا الشارع فبالتأكيد رأيتها.. وإذا رأيتها فبالتأكيد لن ننساها.. وإذا نسيتها فأنت بالتأكيد تمناني من ضعف شديد في الذاكرة!

هل سمعت عن (سونيا)؟

بالتأكيد سمعت عنها.. طالما أنك شاب وتسال عن أجمل بنات المنطقة فبالتأكيد سمعت عنها.. إذا كنت تهوى جلسات النسيمة وتسال عن آخر أخبار الفضائح فالإيد أنك سمعت عنها.. وحتى لو لم تسأل فبالتأكيد سمعت حكايات متناثرة عنها هنا وهناك.. أما إذا لم تكن قد سمعت عنها من قبل فأنت بالتأكيد تمناني من ضعف شديد في السمع.

هل سمعت عن (سونيا)؟

بالتأكيد سمعت.. لماذا تنكر يا صديقي العزيز؟.. إنها حقيقة من أجمل حقائق الكون.. لا يستطيع أحد إنكار وجودها أو الادعاء بأنه لم يسمع عنها من قبل.. إنها كالشمس تشعرك بالدفاء كلما ظهرت.. وتحرق من يحاول الاقتراب منها.. إنها كالقمر تضئء وجهك كلما نظرت إليه.. إنها كالبحر غامض مليء بالأسرار.. قد يمنحك أكثر مما تتخيل.. ويندر بك في أي لحظة.

هل سمعت عن (سونيا)؟

لا تخشى شيئاً يا صديقي.. فكونك سمعت عنها.. أو حتى رأيتها.. لا يمكن أن يمس سمعتك بشيء.. فأنت لست أول رجل رآها.. لست أول رجل حلم بها.. ولن تكون الأخير.. لكنها لا تهوى رجال المنطقة.. ولا تفكر في أحدهم.. ربما تراهم أقل من مستواها.. ولها كل الحق في ذلك.. لكنك أحياناً تراها بصحبة رجال أقل بكثير من مستوى رجال المنطقة!

لا أحد يعلم السبب.

(القلب وما يريد) كما يقولون.

أو أن هناك سبباً آخر..

ربما كانت تخشى نساء المنطقة.. تتجنب الصدام معهم.. إنها أذكى مما

نتصور.

هل سمعت عن (سونيا)؟

ليتك لم تسمع.. حتى أحكى لك المزيد والمزيد عنها.. فأنا أعشق الحديث عنها.. لا أشبع من ذلك.. وحتى لو لم تسألنى عنها فسوف أحدثك عنها.. وسأخبرك بكل شيء أعرفه.. وسوف تخبرنى أيضا بكل شيء تعرفه عنها.. جميع أخبارها.. وسوف أنصت لك باهتمام دون مقاطعة.. حتى لو كانت أخبار قديمة!

(سونيا)!

يا له من اسم!

دائما يرتبط فى ذهنى بالسُّمعة السيئة.. هذا اسم يصلح لراقصة أو نجمة استعراضية أو فتاة ليل أو جاسوسة إسرائيلية أو ساحرة شريرة فى مجلة أطفال.. لقد تعودنا على ذلك.. فلو أنتى سيناريست سأجعل الراقصة فى الفيلم تحمل اسم (سونيا) أو.. (سماره).. و(جابر) أو (سلطان) رئيس العصابة.. و(بدران) الخائن طبعاً.. هذه أشياء معتادة!

لا تتوقع منى أن أطلق اسم (سونيا) على عالمة ذرة.. سينتقدنى الجميع وقتها ويفشل القيام!

لا أعلم من هو ذلك الأب المصرى الذى يفكر فى تسمية ابنته بهذا الاسم.. لا بد أنه يكره إنجاب البنات! وإطلاق هذا الاسم نوع من العقاب لها.. على أى حال هو أفضل بكثير من فكرة الوأد.

ربما هي من أطلقت على نفسها هذا الاسم.. ربما كان اسم شهرة وليس اسمها الحقيقي.. لا شك أن الاسم مثير للرجال.. وكأنها تقول لهم (نعم هذا هو اسمى.. وأنا كما تخيلتكم بالضبط).

اسمها بالكامل؟

اسمها (سونيا) فقط!

لا أحد يعرف اسم أبيها.. ولن نعرف.. حتى لو حاولت وسألته عنها لن تستطيع الوصول لأى إجابة.. فهى تتهرب منها بطرق غاية فى الذكاء.. لا ترفض سؤالك

بواقحة.. بل تعطيك تعليمات طريفة تصحبها بضحكة ساخنة ساحرة تنطلق
من بين شفتيها الناعمتين الناريقتين تظهر خلالها أسنانها البيضاء المتناسقة
المنبس بعدها سؤالك.. وربما تنسى اسم أبيك أنت شخصيا.. واسمك نفسه!

هل تعيش وحدها؟

طبعاً.. ومن هنا تنشأ الأساطير!

هناة في غاية الرقة والجمال.. تعيش بمفردها في منزل منعزل وسط
السهول الزراعية.. يحضر إليها الرجال من شتى بقاع الأرض.. تذهب إلى
السوق وتشتري ما يلزم لتغذية عائلة كاملة.. تدفع بسخاء للباعة ولا أحد يلم
بمصدر دخلها.. لذا يخمن الجميع المهنة الوحيدة المناسبة لها والتي تنطبق
عليها جميع المعطيات السابقة.

أسطورة (سونيا).. المرأة التي يريدها جميع الرجال.

وأنا رجل..

لذا..

أتذكر أول مرة رأيت فيها (سونيا).. كنت أجلس مع صديقي (حسنونة) على
المنهى عندما أشار لى ناحيتها وقال:

..ها هو البدر في ليلة تمامه.

نظرت إلى السوق.. كان من السهل أن ألمحها وسط باقى النسوة.. وحتى لو
لم أنتبه لها فيكفى أن أنظر إلى مركز الدائرة.. أى دائرة بالضبط؟ سأشرح

لك:

عندما تدخل (سونيا) إلى السوق.. ستجد دائرة من الناس تكونت حولها..
ويجد الجميع ينظرون في اتجاه واحد.. مركز الدائرة.. (سونيا).. وكلما
سارت خطوة تحركت الدائرة من مكانها.. وهكذا.

ألم تسمع من قبل عن سقوط قنبلة في مكان ما.. ومحيط دائرة الانفجار؟
حسنًا.. (سونيا) قنبلة أنثوية.. تنفجر في المكان الذي تسير فيه.. ويمكن رصد
مكانها من قياس الدائرة التي حولها.

نهضت من مكانى فجذبنى صديقى (حسونة) من ذراعى وقال:
 - إلى أين يا (على)؟
 - دعنى.

أقلت ذراعى وقال:
 - حسنا.. إذا أردت شيئا منها فلا تخبرها أنك من هنا.
 - شكرا على النصيحة.

لم أجد شيئا أقوله لها سوى:
 - دعنى أساعدك فى اختيار ثمرات الطماطم.
 التفتت لى.. شعرت أن الكون توقف فجأة.. قنبلة زمنية انفجرت فى المكان
 جعلت الزمن = صفر.. مثل رواية الخيال العلمى التى قرأتها.
 كانت عيناها ساحرتين.. تسمرت مكانى.. هل تمتلك سحر عيون (ميدوسا)
 لأننى اعتقدت لحظتها أنها حولتنى لتمثال بمجرد النظر إليها؟
 رائحة عطرة قوية.. اجتاحتنى كعاصفة.. غمست روحى تماما.
 عاد الزمن للتحرك وانتهى تأثير القنبلة الزمنية.. قالت بضمها الرقيق:
 - وهل تجيد ذلك؟
 أجبته بثقة منقطعة النظر:
 - طبعا.

ودون تأخر ثانية.. ودون أن تطلب.. رحبت أساعدها وأنا أتحين فرصة أن
 تصطدم يدي بيدها وأنا أضع ثمرات الطماطم معها فى حقيبتها.. سألتنى:
 - هل أنت من هنا؟

تذكرت نصيحة صديقى وأجبته:
 - لا.. أنا من بلدة (كسر الأشراف).
 نظرت للبائع.. خشيت أن يكذبنى أمامها ويخبرها أنتى (على) وأنه يعرفنى

جيدا وأنتى من سكان البلدة وأنتى لا أخرج كثيرا بسبب المذاكرة.. وأنتى أعمل فى الأجازة الصيفية خارج البلدة.. وربما يحكى لها تاريخ عائلتى.. لكن يبدو أن البائع لم يكن منتهيها لحديثى.. كان يركز على تفاصيل أخرى تخص (سونيا).
وأين تقع؟

. تبعد عن هنا عشرة كيلو.

لمحت ابتسامة جميلة على شفيتها.. يبدو أنها تتجذب فعلا للرجال الأغراب.. سألتنى:

. وما الذى أتى بك إلى هنا؟

كانها تختبرنى.. فإذا لم أجب بسرعة على سؤالها فهذا يعنى أنى أكذب ويتضح لها أنتى من سكان البلدة وتضيع فرصتى للأبد.. لكنى كنت جأمز بالإجابة لأنى فكرت فى جميع الاحتمالات قبل بدء الحديث معها.. لن أقول أنتى فى زيارة لصديق هنا.. فريما كانت تخشى رجال المنطقة وأصدقائهم أيضا.. لذا قلت:

. أنا أعمل محاسب عند تاجر خضروات، وأحب أن أحضر إلى جميع الأسواق لأعرف الأسعار وأتابع الحركة الشرائية.
منحتنى ابتسامة أخرى، وقالت:

. ربما كنت محاسبا ماهرا تجيد العمل بالورقة والقلم.. ولكنك لا تجيد انتقاء الطماطم.

وراحت تخرج من حقيبتها كل الثمرات التى اخترتها بنفسى.. ثم وضعت ثمرات أخرى مكانها.

شمرت بالحرج الشديد منها.. ولم أدرى ماذا أفعل.. لكن ابتسامة جديدة جعلتنى أستعيد ثقى بنفسى.. ثم فوجئت بها تقترب من وجهى.. وتلفح أنفاسها الحارة رقبتى..

ما الذى تتوى أن تفعله هذه الـ (سونيا)؟

لا أظن أنها تتوى تقبلى فى وسط السوق فى وضع النهار.. لقد سمعت أنها قد فتاة مريبة وسلوكها مشبوه لكنى لم أسمع من قبل أنها جريئة.. سمعت أنها قد

تفعل ما يحلو لها لكنها لا تفعله أمام الناس.. لا أحد استطاع أن يمسك عليها
دليلاً أو يبرهان على سلوكها المشين.. كلها حكايات وإشاعات عن رجال يدخلون
بيتها ليلاً.. لكن لا أحد عاد من هناك وحكى ما رآه أو ما فعله معها.. فكلهم
رجال من خارج البلدة.

لم تقبلتى!

هذا هو المتوقع.. إلا إذا أردت أن تذهب إلى القسم بتهمة فعل فاضح في
مكان عام.

تفتست الصعداء لأنها لم تنفذ هذه الفكرة الحمقاء التي دارت بخيالي
المريض.. لكنني شعرت في نفس الوقت بخيبة أمل واحباط شديد.

لقد اقتربت من وجهي لكي تقول لي هامة:

. انتظرنى عند نهاية السوق.

فرحت جداً.. يبدو أن هناك الكثير في انتظاري.. أكثر مما تمنيت أو
تخيلت.. أكثر من مجرد فكرة حمقاء عن قبلة غير منطقية لا محل لها من
الإعراب.

لحنى صديقي فأعطيته إشارة خفية بأنني فشلت معها.. وتأكدت أنها لم
تراني وأنا أتحدث مع صديقي بالإشارة.

أسرعت إلى نهاية السوق.. وانتظرت بجوار بائع عجوز تجاوز سن الستين
منذ زمن.. يبيع ليمون على عربة خشبية صغيرة.. لم يحاول أن يسألني عن
سبب انتظاري الطويل تحت هذه الشمس الحارقة.. فقط كان يمسك نفسه -
وهو جالس تحت مظلته القماشية الرديئة. بأن يكرر جملة واحدة كل دقيقة أو
دقيقتين وهو ينظر ناحيتي:

. لمون) يا بيه.

وأنا أكرر بنفس الملل:

. شكرا يا حاج.

ظهرت (سونيا) أخيراً!!!! وهي تجر خلفها حقيبة السوق ذات العجلات
وكانت ممثلة عن آخرها.. هرعت نحوها وأمسكت يد الحقيبة بدلاً منها وقمت

بجزها وحدي.

ابتسمت لي، ولم تبادل كلمة واحدة.. كنت في قمة سعادتي وأنا أوصلها إلى بيتها.. يبدو أنني سأتناول الغداء معها..

أو.. ما هو أكثر.

لكن عند باب منزلها الذي يبعد كثيرا عن منطقة السوق فوجئت بها تمسك يد حقيبتها..

.شكرا.

شكرتني فقط!

مجرد كلمة شكر.. هذا كل شيء!

لقد توقعت أن تدعوني للداخل أو تلح على الغداء معها.. أو أي شيء من هذا القبيل.. أو حتى كلمة جافة مثل (تفضل).. لكن يبدو أنها خشيت أن تتفوه بها فأقبل دعوتها على الفور.

ما الذي يعنيه هذا؟ هل طلبت أن أنتظرها لمجرد أن أساعدها هي جزئية الحقيبة.

.كنت أريد أن..

ولم أستطع أن أنطق بأكثر من هذا.

ابتسمت قائلة:

.ليس الآن.

لا أعلم بالضبط ما هو الذي لا يمكن أن يحدث الآن.. لكنني سألتها:

.متى إذن؟

.بالليل.

على أي حال.. هي وافقت.. على أي شيء؟ لا أعلم.. لكنها وافقت على حدوثة ليلا.

جميل!

لوحث بسبابتها محذرة:

.ولا تخبر أحدا.

.اطمئنى.

يبدو أنها تخاف على سُمعتها.. ولكن هذا لا يبدو منطقيا مع سُمعتها السيئة بالفعل!

ربما تخشى أن أخبر أحدا فيمنعنى من الذهاب إليها وبهذا تكون قد خسرتى.. احتمال معقول! على أى حال لم أخبر أحدا.. حتى صديقى الذى عرفنى بها لم أخبره بأنها دعتنى إلى منزلها ليلا.

وعندما سألتى أخبرته أنها صدتتى تماما فى محادثتنا القصيرة بالسوق.. وأنتى لى أفكر فيها مرة أخرى.

.كم مملك من المال؟

كان سؤالا صريحا مباشرا.. ارتبكت للحظات، فمادت تكرر سؤالها:

.كم؟

.ليس كثيرا.. لكن يمكننى أن أحضر مزيدا من المال ليلا.

ضحكت قائلة:

.حسنا.. كم المبلغ الذى يمكنك إحضاره؟

كان سؤالا صعبا.. لو أخبرتها بأى رقم فسوف أكون ملزما بإحضاره.. وأنا لا أعلم الرقم الذى يعجبها ويفرئها.. فربما يكون الرقم الذى أقوله أقل من طموحاتها أو ربما أكثر مما تنتظره منى.. لذا حاولت أن أستخدم ذكائى وقت:

.ما المبلغ الذى تريدينه؟

وضعت يدها على خصرها ورفعت صدرها فى تهاوى، وقالت بجرأة شديدة:

.كم أساوى؟

شعرت ببعض القلق والتوتر من جرأتها الشديدة.. قلت بسرعة لأحاول كسبها بالكلام المعسول:

.. كنوز الدنيا .

ابتسمت وقالت:

.. حسنا .. اجلب معك ما يمكنك الحصول عليه من كنوز الدنيا .. سأنتظرك

لهلا .. كما اتفقنا .

وطبعت قبلة على أصابعها وأرسلتها في الهواء لى .. وددت لو أقفز لأحصل

على هذه القبلة الهوائية قبل أن تسقط أرضا أو تذهب مع الريح!

وهي الليل ..

ذهبت إلى منزلها المنمزل وسط الحقول .. طرقت الباب .. أتانى صوتها:

.. من؟

.. أنا (على) .

فتحت الباب بسرعة .. ونظرت خلفى وعن يمينى وعن يسارى وسألتنى:

.. هل أنت وحدك؟

.. نعم .

.. هل أخبرت أحدا أنك قادم؟

.. لا .

أدخلتني على الفور .. ثم أغلقت الباب .

أخذت منى حقائب الفاكهة التى كنت أحملها، وهى تقول بنظرة شكر

وامتنان:

.. لماذا هذا التعب؟

.. هذه أشياء بسيطة! أتمنى فقط أن يعجبك اختياري هذه المرة .

قالت لى وهى تبتسم:

.. أنا جائعة جدا .. هيا بنا نأكل أولا وبعد ذلك ..

ثم غمزت لى بعينها .. نعم .. أنا متأكد أنى رأيت الغمزة .. وهذا يعنى أننا

سوف..

سوف.....! أأ... لا أصدق نفسي.

هذه المرأة اللعوب لا تضيع وقتها.. تعرف هدفها في الحياة وتحققه.. إنها امرأة غريبة! إنها لم تنتظر منى أى تلميح.. تصارحنى بما لم يستطع لسانى نطقه.

يا لجرأتها!

أثناء العشاء الدسم سألتها عن عائلتها.. فمررت منها تاريخ حياتها.. أخبرتني عن طفولتها البائسة و وفاة والديها وطمع أعمامها في ميراثها.. هي الإبنة الوحيدة لوالديها.. ليس لها أى أخوة.. هربت من بلد إلى بلد خوفاً من أعمامها.. كانت تعلم أنهم يطاردونها في كل مكان ليقتلواها.. حتى تعرفت على (جابر).

(جابر)! هذا الاسم لا يوحى بخير أبدا!

من (جابر) هذا؟

قالت بحب وهيام:

حبي الوحيد.. لقد خلصنى منهم جميعا.. قتلهم.

كنت أعلم أن هذه الـ (سونيا) تخفى وراءها سرا رهيبا.

وأين هو؟ مسجون؟

لا.. حر طليق.. نقضى مع بعض أحلى الأوقات.. نمرح ونلعب وعند شعوره بالخطر يخفى.. وأنتقل أنا من مكان إلى مكان حتى لا يستطيع أحد الوصول إلى.

وما ذنبك أنت؟

بسبب وجود الدافع!

لكنك لست القاتلة!

لكنى المحرصة!

كما توقعت! لديها سر خطير.. وقد صرحت لى به ولا أعلم السبب!

. هذا يعنى أن اسمك الحقيقى ليس (سونيا) .

ضحكت بميوعة، وقالت:

..نعم.

سألته مندهشا:

لماذا أخبرتنى بكل هذا ونحن لم نتقابل قبل اليوم؟

تهدت وقالت:

. يمكن أن تقول أننى ارتحت لك.

انتهينا من العشاء وغسلنا أيدينا .. وجلسنا فى الصالة نحسب الشاى ..

نظرت فى ساعتى فلمحتنى وقالت:

. هل أنت متمجلة؟

. لا .. أبدا.

وضعت كويها على المنضدة وقالت:

. ولكنى متمجلة!

ابتسمت لها .. سألتنى:

. هل أحضرت المال؟

..نعم.

فردت كفيها الأيمن أمامى .. فأخرجت لها المال من جيب بدلتى وأعطيتها

لها .. نظرت له وسألتنى:

. فقط؟

كنت أخشى هذا السؤال لذا جهزت مبلغا آخر فى جيب بنطلونى .. توقفت

هذا الطمع .. أعطيتها ما بقى معى من مال؛ لو أنها طلبت المزيد سأقسم لها

بقهر جدى أنى لا أملك مليما آخر الآن .. لكنها لم تطلب!

فقط طلبت منى أن أخلع ملابسى .. فسألته:

. وأنت؟

قالت بحزم:

أنت أولاً!

شعرت بمعادة كبيرة وأنا أتخيل اللحظات القادمة.. المتعة فقط ولا شيء غير المتعة!

في أقل من دقيقة تمت المهمة بنجاح.. شعرت ببعض البرد في البداية.. لكن الأفكار الساخنة بداخلي بعثت بعض الدفء في جسدي العارى.

لاحظت أنها مشغولة بمدّ الأموال.. ولم تحتس النظر لى ولو مرة أثناء المهمة أو بعدها.

قلت لها:

لقد انتهيت.

توقفت عن العدّ ووضعت الأموال على المنضدة.

ما فائدة العدّ إذن إذا كانت لن تكمله؟ أم أنها كانت تنتظر مبلغاً معيناً كحد أدنى وفرحت أنها تخطته.. قلت لها:

دورك!

انحنيت لتجمع ثيابى دون أن تنظر لى ثم اتجهت إلى إحدى الغرف.. فتحت بابها الذى كان موصداً بخمس مزاليج بثلاث أقفال ضخمة بالإضافة إلى كالكون.. دخلت وأضاءت نور الغرفة الأحمر وقالت:

انتظرنى هنا.

ثم خرجت من الغرفة ودفعتنى برفق للداخل.. فسألتها:

إلى أين؟

ابتسمت قائلة:

سأجهز نفسى وأحضر على الفور.. إنتظرنى قدام لدقائق.

بمجرد دخولى الغرفة أغلقت الباب.. حاولت فتحه لكنى سمعت صوت المزاليج والأقفال.. سألتها بقلق:

ما الذى تعمله؟

سمعت ضحكاتها ثم قالت:

. أتمنى لك قضاء سهرة طيبة.

سهرة طيبة! نظرت حولي في الغرفة.. لا يوجد بها سوى الأثاث فقط..
سرير.. دولاب.. تمريجة.. شماعة.. وقطعة أثاث أخرى لا أدري كنهها.

لا يوجد تليفزيون أو أى شيء مسل.. كيف سأقضى سهرة هنا؟ وبدونها؟

ما الذى تفعله هذه الحمقاء.. هل تريد حبسى هنا؟ لماذا؟

وهجأة تحركت قطعة الأثاث العجيبة.. لا أعرف ما هى بالضبط.. وما
فائدتها.. ولماذا تحركت!

كانت تتقدم نحوى.. صرخت برعب:

. ما هذا؟

تغير شكل القطعة أو الكائن.. لا أدري ما هو الوصف الدقيق له.. فتح ما
يشبه الفم الواسع وظهرت أنياب حادة طويلة منه.

صرخت بمنتهى الهلع وأنا أطرق الباب:

. افتحى لى.. أرجوكى.. سأدفع لك ما تريد وأخرجينى من هنا.

سمعت صوتها وهى تقول من وراء الباب:

. وإذا أخرجتك.. كيف سأقوم بإطعامه إذن؟

. ما هذا؟

. (جابر).

(تمت بحمد الله)

قال في بيان حقيقة العلم هو العلم بالشيء كما في الكلام اني اوردنا هذا الكتاب في بيان حقيقة العلم
في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

(العلم) العلم بالله العلم بالله

العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله
العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله
العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله العلم بالله

ورقة وقلم

قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم
قال في بيان حقيقة العلم

كان صديقى يتحدث عبر الهاتف فى إحدى الكبائن الموجودة بالشارع عندما سألتنى فجأة:

. هل معك ورقة وقلم؟

وبسرعة وضعت يدى فى جيب بدلتى وأخرجت نوتة وقلمًا ثم أعطيتهما له.

ثم شرذ ذهنى إلى ذكريات قديمة.. منذ عشر سنوات تقريبًا..

كنت عائداً من العمل.. أخبرونى أن أبى يحتضر.. إشتد عليه المرض ولحظة الفراق تقترب.. دخلت مسرعاً إلى غرفته.. وقفت بجوار سريريه أنظر له بحزن شديد.. تساقطت الدموع من عينى.. فتح عينيه فرأنى فابتسم ابتسامة واهنة وقال:

. (رشدى) .. حمدا لله أنك جئت.

أمسكت يده النحيلة وقبيلتها بحب وحنان وعطف وقلت له:

. أنا هنا بجوارك يا أبى.. لن أتركك.

نظر حوله ثم قال:

. لا أريد أحداً فى الغرفة سوا.. دعونا وحدنا.

خرج كل من كان بالغرفة.. لم يرد أحد إغضابه فنمذوا طلبه على الفور.. الكل كان يريد الجلوس بجواره والاطمئنان عليه لكنهم فى نفس الوقت يريدون راحته وإرضاءه بتنفيذ طلباته وأوامره.. قلت له مشجعاً:

. ستزول هذه الأزمة إن شاء الله وسوف تسترد صحتك وعافيتك.

قال بصوت متحرج:

. يا بنى.. لقد اقتربت النهاية.. فلا داعى من هذه الأحاديث.. التى لن تقدم

شيئاً.

قلت وأنا أمسح دموعى:

. يا أبى..

سعل بقوة ثم قال:

. لا تقاطمنى واسمعى جيداً.. الوقت ضيق جداً.. لم يبق فى حياتى سوى

لحظات قليلة.. لذا أريد أن أخبرك بأمر هام قبل أن أرحل.

يا أبى.. لا تهرق نفسك بالحديث.

سئل مرة أخرى ثم قال:

. ألم أقل لك ألا تقاطعنى؟

صمتت حتى لا أثير غضبه أكثر.. قال:

. منذ شهر تقريبا.. سحبتم رصيدي كله من البنك وأعطيتهم لصديقى.. كان يمر بضائقة مالية.. ويريد المال ليستطيع استكمال مشروعه الناجح.. ووعدنى أنه سيسدد دينه لى فى أقرب فرصة.. لذا أريدك يا وندى أن تذهب له بعد موتى.. وتخبره فقط أنك ابنتى.. وسوف يعطيك المبلغ كاملا فهو رجل صالح جدا ويخشى الله.

ثم أخبرنى باسم صديقه وعنوانه ورقم هاتفه ثم سألتنى:

هل معك ورقة وقلم؟

. لا.

. حسنا.. احضر بسرعة ورقة وقلم حتى لا تنسى ما قلتها.

. لا تقلق.. لقد حفظت كل المعلومات التى قلتها..

سئل مرة أخرى وقال بغضب:

. اسمع الكلام وأحضر ورقة وقلم بسرعة.. أنا أعرفك جيدا.. ستسى ما

قلتها.

وحتى لا أغضبه أكثر قمت لأحضر ورقة وقلم.. وهكذا فاتتني اللحظات الأخيرة من حياة والدى.. فلقد استغرقت وقتا طويلا فى البحث.. وفى النهاية وجدت ورقة قديمة ولم أجد قلما.. وعندما عدت له وجدته قد لفظ أنفاسه الأخيرة.

ارتيميت فى أحضانه لأبكي وصرخات صامته من القلب تنطلق فى المكان.

لقد مات أبى.

بعد الجنازة.. دخلت غرفته وجدت الورقة فتذكرت موضوع صديقه..

فبحثت عن قلم لأسجل المعلومات قبل أن أنساها.

وعندما أعطاني أحد المعزين قلمه.. أمسكت بالورقة ورحت أكتب عليها:
المال عند صديقه

.....

؟؟؟؟؟؟؟؟

))))))

ما هذا؟

لقد نسيت!

صديقه كان اسمه (جمال)...

(جمال...) ماذا؟

لم أستطع تذكر بقية الاسم.

هل كان اسمه (جمال) حقا؟ أم كان اسمه (كمال)...؟ أم (كامل)؟

هل كان (جمال) أم (جميل)؟

دعنا من الاسم.. المهم عنوان المنزل..

كان في محافظة الشرقية.. مركز...؟؟

لا أتذكر المركز ولا اسم الشارع.. لكن أتذكر أن عنوان المنزل كان ٢٣ أو..

٢٢.. أم كان...؟؟

هل كانت محافظة الشرقية حقا؟ أم أنها الغربية؟

حاولت تذكر رقم الهاتف.. رقم الهاتف أهم بالتأكيد..

يمكنك أن تصل إلى الشخص إذا عرفت رقم هاتفه.

كان الرقم هو.....

كان به ٥ و٧ و٢ و٨.. أنا متأكد.

لكني لا أعرف الترتيب.. ولا بقية الأرقام.

لقد نسيت.

حاولت البحث في أوراق أبي لأعثر على أى دليل على هذا الصديق.. لم أجد.

سألت أقرابنا.. سألت أصدقائه.. لكن للأسف لم أستطع الوصول لأى معلومة يمكن أن ترشدنى إليه.

نشرت إعلان في الجريدة.. باسمى واسم أبى.. لعل ذلك الصديق يعرف بالأمر ويرد الدين.. لكن للأسف طال الانتظار ولم يتصل بى أحد.

هل مات ذلك الرجل ولم يخبر أحداً بدينه لأبى؟ أم أنه حى ويعتقد أن أبى لا يزال حياً وينتظر زيارته؟ أم أنه يعرف ولكنه لا يستطيع رد الدين الآن؟ أم أنه لا يريد ذلك؟ هل ينتظر أن يجمع المبلغ كاملاً حتى يرده؟

للأسف ليس أمامى سوى التفكير فى الأمر وتخمين احتمالات..

والانتظار...!

أتذكر ما حدث فى ذلك اليوم.. لو كنت أملك ورقة وقلماً لما ندمت كل هذا الندم.

ومنذ ذلك اليوم وأنا أضع فى جيبى دائماً ورقة وقلم.. حتى أننى أضعهما فى جيب البيجاما وأنا نائم.. الورق والقلم لا يفارقانى أبداً.. أضع أوراق وأقلام فى كل مكان فى شقتى.. لذا قد تجدهم فى أى ركن.. فى أى درج.. على أى منضدة.. تحت أى سرير.. حتى فى الحمام.. بجوار الصابون والشامبو.

انتهى صديقى من المكاملة ثم أعطانى القلم والنوتة بعد أن انتزع منها الورقة التى كتب فيها ثم قال لى:

شكراً على الورقة والقلم.

(تمت بحمد الله)

عندما دخلت محل الطيور فى ذلك اليوم لم يخطر ببالى أبدا أن مجرد هدية قد تقلب حياتى رأسا على عقب.

كان أعز أصدقائى (عزت) قد تزوج منذ أسبوع مضى.. وقررت زيارته فى ذلك اليوم.. ورأيت أنه ليس من اللائق زيارة شقة الزوجية لأول مرة خالى اليدين، لذا فكرت فى شراء هدية مناسبة للعروسين.

كنت فى حيرة شديدة.. ماذا أشتري؟ ستة جاتوه.. علبة شيكولاتة.. ساعة حائط.. زهرية.. لوحة فنية.. اثنين كيلو برتقال!

فى النهاية إستقر رأبى على عصافير مفردة.. تفرد للعروسين كل صباح. ودخلت محل الطيور، وتجولت فيه كثيرا حتى انتهى بى المطاف عند الببغاوات.. لم تعجبنى العصافير المفردة بقدر الببغاوات.. لذا غيرت رأبى وقررت شراء ببغاء.

ظللت أبحث عن ببغاء مميز فى الشكل من بين الكثير المعروض أمامى.. حتى سمعت من يقول لى:

. صباح الخير.

تلقت حولى وأنا أرد التحية:

. صباح النور.

بحثت عن الرجل الذى ألقى على التحية.. لم أجد أحدا بالقرب منى.. صاحب المحل بعيدا جدا عن مرمى بصرى.. والزبائن الآخرين مشغولين فى انتقاء الطيور.. لا أحد ينظر لى.. من إذن صاحب الصوت؟ أين اختفى؟

. صباح الخير يا أستاذ.

كان الصوت واضحا جدا هذه المرة.. وعرفت مصدره على الفور.. كان ببغاء!

ببغاء متوسط الحجم جميل الشكل.. ذو ألوان براقية.. نظر لى بعينيه الواسعتين وقال:

. صباح الخير.. صباح الخير.. صباح الخير يا أستاذ.

كمادة البيغاوات يكررون كلامهم.. ابتسمت له وقلت:

. صباح النور.

فوجئت به يقول:

. اشتريني.. اشتريني.

ضحكت من جملة.. ترى من الذى علمه هذه الجملة؟

لا بد أنه صاحب المحل!

من المعروف أن البيغاء يستطيع تقليد صوت البشر لكنه لا يعنى ما يقوله..
فقط يكرر ما يسمعه.. دون فهم.. لذا أفطن أن صاحب المحل علمه هاتين
الجملتين ليقتنع الزبائن بشرائه.

عاد يكرر كلمته:

. اشتريني.. اشتريني.. اشتريني.

قلت لا شعوريا:

. حاضر يا عم.

ورحت أداعبه، وأتحسس ريشه الملون.. ثم استدعيت صاحب المحل لأتم
عملية الشراء.

أعتقد أنه سيكون هدبة رائعة للمروسين!

خرجت من المحل وأنا أحمله داخل قفصه.. أنظر إليه فأشعر أنه يحمل فى
عينه نظرة امتنان لى.. أو ربما أنا أتخيل ذلك.

فوجئت به يقول:

. شكرا.. شكرا.

هل هذا معقول؟ بالتأكيد لا يعنىها.. هو فقط يكرر كلمة سمعها فى وقت
ما.. لا يعنى ذلك أنه يشكرنى فعلا.. فالبيغاء لا يفهم ما يقوله.. هو فقط يسمع

ويكرر ما يسمعه!

أو هذا ما أظنه!

فرح صديقي (عزت) كثيرا بالبيضاء أما زوجته (نهلة) لم يبد عليها أى نوع من الحماس.. بل شعرت أنها تضايقت من رؤيته.. ولا أستبعد احتمال أن تتخلص منه فى أقرب فرصة دون علم زوجها وستجد ألف إجابة إذا سألها زوجها عن سر اختفائه.

لماذا تضايقت منه؟ ربما لأنها لا تريد سماع صوت غير صوت زوجها.. أو ربما لأنها لا تريد صوتا يملو فوق صوتها..

وربما خشيت أن يكرر ورائها ما تتلفظ به.. ويحفظ سبابها ويرده لها طوال الوقت!

هى فى النهاية امرأة حتى لو كانت عروسة جديدة.. وهذا يعنى أن لديها حصيلة جيدة من السباب.. ربما لم تستخدمها بعد.. ولكنها تدخرها للوقت المناسب.. وهذا الوقت لم يأت بعد.. على الأقل سنتنظر حتى انتهاء شهر العسل.

ربما كانت تريد أن أشتري لهما أداة من أدوات المطبخ أو أى شيء مفيد للشقة والأمور المنزلية.

على أى حال.. لقد قمت بالواجب وزرت صديقي العزيز وأهديته هدية أراها قيمة.. لا يهمنى آراء الآخرين وخاصة زوجته.

بعد أيام اتصلت بصديقي (عزت).. أطمئن عليه وعلى البقاء أيضا.. أخبرني أنه:

. جميل جدا يا (سامي).. لكنه صامت.

. كيف؟

. صامت طوال الوقت.

. منذ متى؟

. منذ أحضرته.

. غير معقول!

. أنا أخبرك الحقيقة يا صديقي.. أنا لا أقلل من شأن هديتك.. بالعكس أراها أفضل هدية وصلتني منذ زواجي.. وأراه طائر جميل جدا.. أداعبه طوال

الوقت.. لكنه للأسف لا يتكلم!

. كيف هذا؟ لقد نطق ببعض كلمات أمامي قبل شرائه!

. ماذا قال؟

. قال (صباح الخير) و(اشتريني).

. قال لك (اشتريني) هاهاها.. وهل أخبرك بالسعر؟

. لا تسخر مني.. هذا ما حدث فعلا.. أنا لا أكذب.

. وأنا أيضا لا أكذب.. طائرک الجميل أخوس.

بعد أسابيع قمت بزيارة أخرى لصديقي.. تلك الزيارة التي لا يمكن أن

أنساها أبدا بسبب ما حدث خلالها.

ليتني ما زرته في ذلك اليوم..

كانت الساعة الرابعة عصرا عندما دققت الجرس.. فتح صديقي الباب

واستقبلني جيدا..

. كيف حالك يا (عزت)؟ وكيف حال الزواج معك؟

. الحمد لله.. كيف حالك أنت يا (سامي)؟ ومنى تفرح بك؟

تنهدت وقلت:

. عندما أجد الفتاة المناسبة.

بعد قليل من الدردشة بخصوص زواجي واختيار شريكة الحياة المناسبة

واقترح بعض الأسماء على من فتيات عائلته وزميلات عمله قال لي:

. هاه.. نسيت.. ماذا تشرب؟

ونفض من مكانه فسألته ساخرا:

. هل ستحضر المشروب بنفسك؟ ما الذي حدث لك يا (سي السيد)؟

ضحك وقال:

. مازلت (سي السيد) طبعاً.. أنا رجل البهت هنا.. ولكنها ليست موجودة

الآن.. هي في زيارة لأمها.

ضحكت قائلاً:

. ليست موجودة هنا الآن.. أهاه.. ولهذا تصيح بكل قوة: أنا (سى السيد) طلباً.

لكمنى بقبضة ناعمة على كتفى.. للمزاح فقط.. وقال:

.هاه.. ماذا تشرب؟

. أخبرنى أولاً أين البيغاء.. هل تكلم؟

قال بإحباط:

. لا.. مازال كما هو.. فى وضع (صامت).

ثم تابع قائلاً بسخرية:

. هل يمكنك أن تجعله فى وضع (عام)؟

وكأنه يتحدث عن هاتف محمول.. لا بيغاء.. جاريته فى الحديث قائلاً:

. ربما كانت الشبكة مشغولة.. هل فكرت فى إعادة شحن البطارية؟

ضحك صديقى بقوة ثم أشار إلى أحد الأبواب، وقال:

. ستجده عندك فى الشرفة.

دخلت الشرفة.. كان البيغاء يقف حزينا فى قفصه.. رأيت فشعرت أنه فرح

لرؤيتى.. انتظرت أن يقول كلمة.. لم يقل.. هل أصبح صامتا حقاً؟

قلت له محاولاً تقليد صوته كما سمعته أول مرة:

. صباح الخير يا أستاذ.

مرت لحظات.. لم يقل أحداً خلالها حرفاً ففكرت أن أعيد الجملة على

مسامعه.. ربما نسى الكلام..

. صباح الخير...

قاطعتنى البيغاء قائلاً:

. (ليه يا زمان ما سبتناش أبريا)

يبدو أن البيغاء حفظ الجملة من مقدمة مسلسل (ليالى الحلمية) .. لا بد أن صديقي يتابعه هذه الأيام .. والمسلسل يُعاد أكثر من مرة وعلى أكثر من قناة .. وحتى لو كان صديقي يشاهد الحلقة مرة واحدة .. فالمقدمة نفسها تتكرر مع كل حلقة .. ولا بد أن البيغاء سمعها وحفظها .. وربما كان صديقي يبدن بالمقدمة أمامه كثيرا .

(ليه يا زمان ما سبتناش أبريا)

المهم أن البيغاء سليم تماما .. في وضع (عام) !
انتظرت قدوم صديقي لأخبره بما قاله البيغاء .. وأبشره بأنه يتكلم ويفنى أيضا .. لكن ..

قال البيغاء:

. أنتِ طالق .. أنتِ طالق .

ما هذا!

لا بد أن البيغاء قد سمع هذه الكلمات في إحدى حلقات المسلسل الطويل .. ربما عندما طلق (سليم البدرى) أو العمدة (سليمان شاتم) الجميلة (نازك السلحدار) .. أو أى أحد آخر من أبطال المسلسل طلق زوجته .. أو أى مسلسل آخر .

ثم سمعت البيغاء يقول:

. أنتِ طالق يا (نهلة) .

(نهلة)!

اسم زوجة صديقي (عزت)!

و .. ربما اسم إحدى مطلات مسلسل أو فيلم .

لنيس من المعقول أن يطلق صديقي زوجته ولم يمر على زواجهما سوى أسابيع قليلة!

لكن ..

ربما هذا ما حدث فعلا .. هناك احتمال بنسبة ضئيلة لكنه في النهاية احتمال!

وعندما جاء صديقى.. تملكنتى الشجاعة والجرأة.. وربما الوقاحة أيضا
وقلت:

. هل طلقت (نهلة) يا (عزت)؟

إذا كانت الإجابة بلا.. سأدعى أننى كنت أمزح مزاحا ثقيلًا..

تغيرت ملامح وجهه، وسألنى قائلاً:

. من أخبرك؟

لم أصدق نفسى.. النسبة الضئيلة هى التى فازت.. قلت له:

. لا يهم.. لكن كيف؟ كيف طلقتهما؟ ولماذا؟

توقفت للحظة ثم أردفت:

. أنت لم تتكبر حتى!

قال صديقى بذكاء:

. كيف أنكر وقد سألت؟ وطالما أنك سألت فهذا يعنى أنك تعلم! لا يمكن أن

تكون قد خمنت هذا فنحن متزوجين حديثا ولم تسمع أى خلافات عنا.. إذن

أنت علمت بالخبر.. من أخبرك به إذن؟

قلت مزاحاً:

. العصفورة.

هذا إذا اعتبرنا أن البيغاء عصفورة.. قال صديقى:

. لا تريد أن تقول.. حسناً.. كما تحب.

سألته بدهشة:

. لماذا طلقتهما؟

. هذا موضوع يطول شرحه.. دعنى أولاً أقدم لك شيئاً.. للأسف لا أعرف

أين وضعت (نهلة) الشاى.. إنتظرنى قليلاً حتى أشتري شاى من البقال أسفل

العمارة.. لن أتأخر.

أمسكت ذراعها، وجذبتة قائلاً:

. لا داعى.

انتزع ذراعاه من قبضتي، وقال:
 . ستشرب يعني ستشرب.. لن أتأخر عليك.
 وقبل أن يغادر الشرفة قال:
 . خلال هذه المدة حاول أن تعالج هذا البيغاء الأيكم.. هل تكلم معك؟
 كذبت قائلاً:
 . لا.

لماذا كذبت؟ ربما لأدفن سر البيغاء في بئر عميقة.. لا أريد أن يعلم صديقي
 أن الهدية وشيت به.. أخبرتني بموضوع طلاقه.
 خرج صديقي من الشقة، وتركتني وحيداً مع هذا الطائر الفامض.
 نظرت للبيغاء متمجياً.. لماذا يتحدث معي أنا فقط؟ لماذا؟
 فوجئت به يقول:
 . (نهلة) خائفة.. (نهلة) خائفة.

متى سمع البيغاء هذه الجملة؟
 لا يمكن أن يكون قد اخترعها.. بالتأكيد سمعها.. وهذا يعني أن صديقي
 (عزت) قد قالها أمامه لزوجته (نهلة).. لكن متى؟ ولماذا؟
 هل (نهلة) خائفة فعلاً؟ أم أنه يشك فيها؟
 ألهذا السبب هالقتها؟ هل ضبطها متلبسة؟ أم أنها مجرد شكوك؟
 هل كان سيخبرني بموضوع الخيانة هذا إذا سألته بالحاح عن سبب
 الطلاق؟
 قال البيغاء:
 . (نهلة) حامل.. (نهلة) حامل في الشهر الثالث.
 ما كل هذه الأسرار والفضائح التي يخبرني بها هذا البيغاء؟ ذلك الجاسوس
 الخطيرا

لقد أخبرنى بالطلاق والخيانة والحمل! كل هذا فى دقائق معدودة!
هل (نهلة) حامل فى الشهر الثالث حقا؟ هل هذا هو الذى جعله يعلم أنها
خائنة؟ خائنه قبل زواجها منه؟ أوهمته أنها لا تزال عذراء؟

ربما ذهبنا للطبيب ليستفسرا عن سبب مرضها فيخبره الطبيب أنها حامل
فيفرح لكن الطبيب يخبره أيضا أنها حامل فى الشهر الثالث.. وطبعاً هذا ليس
ابنه لأنه تزوجها منذ شهر تقريبا.

ربما طلقها قبل خروجها من العيادة!

لكن البيغاء سمعه.. هذا يعنى أنه طلقها هنا.. أمامه مباشرة!

ما الذى حدث بالضبط أمام البيغاء؟ لابد أن أعرف.

قال البيغاء وهو لا يزال مستمرا فى كشف المستور وإفشاء الأسرار:

.خانتنى مع صديقى.. خانتنى مع صديقى.

إذن (عزت) يعلم من هو أبو الطفل.

قال البيغاء:

.سأقتل (سامى)!

(سامى) من؟

أنا!

كانت مفاجأة قاسية بالنسبة لى.. هناك من يفكر فى قتل (سامى) ..

وأنا اسمى (سامى)!

احتمال كبير أن أكون أنا المقصود.. لكن من قالها أمام البيغاء؟ هل هو
صديقى (عزت)؟ هل هى زوجته؟ هل زارهم أحدا وفكر بصوت عال أمام
البيغاء عن نيته فى قتل (سامى)؟ ومن هذا الذى يعرفهم وزارهم ويفكر فى
قتلى ويصرح عن نيته أمامه؟ وهل كان يقصدنى فعلا أم أن هناك (سامى)
أخر؟

أتمنى أن يكون البيغاء قد سمع هذه الجملة فى عمل درامى وليس فى

حياته!

يا للخبرة!

كيف أتصرف؟

نظرت في عيني البغاء! هل يفهمي؟ هل يشعر بالخبرة التي سببتها
كلماته؟ هل يستطيع أن يجيب أسئلتى.. لم لا أجرب؟

سألته:

..من قال هذا الكلام؟

لم يرد.

راح يهز رأسه يمينا ويسارا.

قمت بإطعامه على سبيل الرشوة.. ثم سألته مجددا:

..من قال (سأقتل سامي)؟

نظر لي، وشمرت أنه يتأهب للكلام.. قال:

..من قال هذا الكلام؟ من قال هذا الكلام؟

إنه يكرر ما سمعه مني منذ لحظات.. ببقاء غيب! يكرر ما يسمعه فقط دون
أن يعيه.. وأنا أشبه منه عندما تصورت أنه يفهم ما أقوله أو ما يقوله.

عاد يكرر ما قلته:

..من قال (سأقتل سامي)؟.. من قال (سأقتل سامي)؟

إنه ببغاء.. يقلد الأصوات.. يكرر الجمل.. يكرر ويكرر دون ملل.. حتى أنه

كرر ما سمع منذ قليل على لسان صديقي:

.. ستشرب يعني ستشرب.. ستشرب يعني ستشرب.. أنت لم تنكر حتى..

أنت لم تنكر حتى.. العصفورة.. العصفورة.. العصفورة.. العصفورة.. سأقتل

(سامي).. سأقتل (سامي).. سأقتل (سامي).. سأقتل (سامي).. سأقتل

(سامي).. سأقتل (سامي)..

صحت قائلا:

..كفى..

صمت فجأة.. لا أعتقد أنه فهم كلمتي.. ربما صمت لأنه رأى غضبا.. كأي طفل عندما تصرخ في وجهه فيصمت.

لكن صمته لم يطل طويلا.. فقد قال:

.. سأقتل (سامي).. (سامي) الخائن.. (سامي) الخائن.

إذن سيقتل (سامي) لأنه الخائن؟ ربما يعتقد صديقي أن (سامي) هو أبو الطفل! هل هذا معقول؟ هل يعتقد أنني خنته مع زوجته؟

قال البيغاء:

.. السم في الشاي.. السم في الشاي.. السم في الشاي!

عاد صديقي من الخارج وهو يقول مبتسما:

.. هل تأخرت عليك؟.. ثواني وأحضر لك الشاي!

الشاي!

يا إلهي!

هل شكوكي صحيحة؟ أم أنني أتوهم؟

كيف لي أن أعرف الحقيقة؟

بعد دقائق عاد صديقي وهو يحمل كوب شاي على صينية صغيرة.. جلسنا

في الصالون..

تفضل.

هل يريد قتلي الآن؟ هل هذا الشاي مسموما؟ كيف أتصرف؟ لورفضت فهل

سيحاول قتلي بطريقة أخرى؟ أم أنه سيجبرني على شرب الشاي؟ ماذا لو أن

الشاي سليما وصديقي يحبني ويحب زوجته وطلقها لأي سبب آخر غير الخيانة

وكل ما قاله البيغاء مجرد تكرار لجمل وعبارات حفظها من سماعه للأفلام

والمسلسلات؟

هل أواجه صديقي وأخبره بكل ما علمته من البيغاء وأرى رد فعله؟ أم أهرب

فورا دون أي مواجهة؟

لكن لو هريت.. سأظل طويلا أسأل نفسي هل كان الشاي مسموما أم لا ؟
تفضل الشاي.

شكرا.

أمسكت بالكوب ولا أدري ماذا أفعل به؟.. سألت صديقي:

أخبرني.. ما سبب الطلاق؟

لا تشغل بالك.. أخبرني أنت هل السكر مضبوط أم أضيف لك ملعقة

أخرى؟

لماذا يصبر صديقي على شرب الشاي بهذه الدرجة؟ هل يعني بسؤاله (هل
السم مضبوط؟)

أعدت الكوب إلى الصينية وقلت:

إشربه أنت.. أنا لا أريد شرب شاي الآن.

تعجب صديقي وقال:

غريبة! طالما أنك لن تشرب شاي لماذا تركتني أذهب وأنزل وأصعد؟ كان

بإمكانني أن أحضر لك شيء آخر في هذا الوقت!

لقد أخبرتك.. أنت الذي صممت على الذهاب.. على أي حال لقد صنعت

كوب واحد فلماذا لا تشربه أنت؟

أجاب على الفور:

لا أستطيع.

لماذا؟

الطبيب يمنعني من شربه.

لم يبد لي أنه صادقاً فيما قاله، فقررت مواجهته:

الطبيب أم أن السم هو الذي يمنعك من شربه.

حاول (عزت) تصنع الدهشة، وقال:

سم! أي سم؟

نهضت من مكاني وقلت:

. لقد عرفت الحقيقة.. عرفت كل شيء.. عرفت سبب طلاقك.. عرفت
بموضوع الحمل والخيانة.. لكنني لم أتصور أبدا أن تشك في.. وتفكر في قتلي!

نهض من مكانه أيضا، وصاح:

. هل جننت؟ ما هذا الذي تقول؟ أنا لا أفهم شيئا.

. إذا كنت مجنونًا فلماذا لا تشرب الشاي وتثبت لي أنتي مجنون؟

قال بغضب:

. لن أشرب الشاي، وأريد أن أفهم معنى كل كلمة قلتها الآن! وما سبب هذا

الجنون!

أمسكت الكوب، واتجهت نحوه:

. إشرب الشاي أولاً، واثبت لي أنتي مخطيء.

دفع يدي. التي تحمل الشاي. بعيداً، وقال بعناد:

. لن أشرب الشاي.

تأكدت من ظنوني.. طالما أنه يصبر على عدم شرب الشاي فهذا يعني أنه
مسموم.. فإزداد إصراري على أن يشربه.. سوف يشرب هذا الشاي بالقوة..
لينال المصير الذي كان يعده لي.

قيدت حركته ورحت أصب الشاي في فمه كلما حاول أن يتكلم أو يصرخ.

فراح يبصق ما يدخل فمه.. ولا يبلغ شيئاً.

أسقيته ما تبقى في الكوب.. وبسرعة كمنت فمه حتى أجبره على ابتلاعه،
ولأمنه من الصراخ.. ظللت هكذا مدة طويلة..

طويلة لدرجة أنه مات بين يدي!

فجأة تركته، فسقط جسده دفعة واحدة على الأرض.

لم يرعيني موته فقد كنت أتوقعه بسبب الشاي المسموم.. ما أرييني حقا هو
احتمال أن الشاي ليس مسموماً وأنه قد مات مخنوقاً عندما كتمت أنفاسه!

صديقتى ماتت وأنا الذى قتلته!

ماذا أفعل الآن؟

بسرعة أخرجت مندبلا من جيبي، ورحت أمسح بصماتى من على كوب الشاي.. وأى أشياء أخرى قد أكون لستها.

وقمت بسرقة بعض الأشياء ليبدو حادث القتل على أنه سرقة وأن اللص لم يكن ينوى القتل لولا أن القتل فاجأه.

ثم سمعت البيقاء فى الشرفة يشدو:

. خدنى لحقناك خدنى.. خدنى لحقناك خدنى!

البيقاء!

ماذا أفعل به؟ لو أخذته قد يكون دليلا على أننى اللص القاتل! ولو تركته قد

يتكلم البيقاء ويفضحنى كما فعل مع صديقتى!

ما العمل؟

فكرت بسرعة ثم فتحت باب الشرفة.. واتجهت إلى القفص.. ثم فتحته وأطلقت سراح البيقاء.

طار فى الجو سعيدا.. شعرت بنظرة امتنان فى عينيه.. ثم عاد إلى المور، ووقف عليه، ونظر لى.. فقلت له:

. طر.. أنت حر الآن.

لم يطر.. رحى أنوح بيدي نحوه..

. طر أيتها الطائر الغيبى!

فطار، ولكنه ظل يحلق حول الشرفة.

تجاهلته، وعدت بسرعة للداخل لأطمئن على المكان وعدم وجود أى دليل يشير إلى هويتى، ثم انصرفت بهدوء حتى لا يشعر بى أى أحد من الجيران.

وفى شقتى.. نمت على سريري أفكر فيما حدث اليوم.. وفى أمر البيقاء

اللعين..

هو السبب فيما حدث.

ماذا لو أنه لم يخبرنى بنية صديقى فى القتل؟ لم أكن لأكشف أمره وربما كنت ميتا الآن..

وربما لا.. وكل هذا وهم! صدفة سيئة جعلت الأمور تصل إلى هذا الحد من
السوء!

كل هذا بسبب كلمات الببغاء!

أين هو الآن؟

هل عاد إلى شقة صديقى؟

هل اكتشف أحد موت صديقى؟ هل رأى أحدهم الببغاء؟ هل استمع إليه؟
هل سيقول الببغاء أمام الجيران ما قاله لى من قبل مثل (سامى الخائن)؟

وقتها سأكون محل شك من الجميع.. فالببغاء لن يقول هذا من تلقاء نفسه..
لا بد أنه سمع صاحبه يقول هذا عند موته!

لقد قال الببغاء أمامى (سامى الخائن).. ما الذى سيمنمه أن يقولها مرة
أخرى؟

بعد يومين.. سمعت بموت صديقى..

وعلمت أن التحريات لم تسفر عن أى شيء.. سرقة ولا أحد يعلم من هو
ذلك اللص الذى اضطر للقتل حتى لا يفتضح أمره.

ولم يقل أحد أى شيء عن أى ببغاء!

بعد أسبوع.. رأيت الببغاء نفسه فى آخر مكان أتوقع رؤيته فيه!

جارى الأستاذ (عبد القوى) له ابن فى الإعدادية يدعى (وليد).. إعتاد أن
يله وفوق سطح العمارة وقت العصر..

فى ذلك اليوم صعدت إلى السطح فرأيت الببغاء يحلق فى الجو حتى استقر
على ذراع (وليد).. ميزت شكله على الفور.. إنه هو!

ربما بالنسبة لك كل الببغاوات تتشابه.. لكنى أستطيع تمييزهم جيدا.. إنه
هو.. أنا متأكد.

اقتربت بهدوء منه خشيت أن يتفوه بأى شيء عندما يرانى.. ربما يكشف كل شيء أمام (وليد) الصغير.

طار الببغاء نحوى.. رفعت يدي لأتحاشاه لكنى فوجئت به يقف على كتفى..
قال (وليد) ضاحكا:

. أسف يا عمو (سامي).

اقتربت من الطفل، وقلت له:

. من أين جلبت هذا الببغاء؟

قال الطفل وهو يقترب منى ليأخذ طائرته:

. لقد وجدته عند نافذة حجرتى.

. لماذا لا تضعه فى قفص حتى لا يطير منك؟

. إنه يطير ويبعد ولكنه يعود دائما لى.. فلماذا أحبسه إذن؟.. لكن هناك مشكلة.. إنه..

وقف الببغاء على ذراع (وليد) الذى راح يداعبه.. وأنا أتحرق شوقا لمعرفة ما هى المشكلة.. قلت كاتما غيظى:

. (وليد).. أكمل جملتك.. ما هى المشكلة؟

. أه.. المشكلة أنه لا يتكلم.

سألته مندهشا:

. هل أنت متأكد؟

. نعم.. لقد حاولت التكلم معه مرارا لكنه لم يتفوه بأى كلمة.

. متى وجدته؟

. منذ أسبوع أو أكثر.

الطفل الصغير يشكو مثل صديقى (عزت) من عدم تحدث الببغاء معه..

لكنى متأكد أن الببغاء يتكلم.. إذن هو يتكلم معى فقط! وهذا من حسن حظى حتى لا يفضح جريمتى!

وجد الطفل الصغير البيغاء منذ أسبوع أو أكثر.. فهل هذا يعنى أن البيغاء
تتبعنى يوم الجريمة حتى عرف مكان العمارة التى أسكن بها.. لكنه ظل مع
(وليد)!

راح (وليد) يلعب بالبيغاء أمامى على السطح وهو يغنى أغنية الفنانة
الراحلة (وردة): أنا عندى بيغان.. غلباوى بنص لسان!

بالنسبة لـ (وليد) البيغاء ليس (غلباوى) ولا يملك لسان أصلا لكن الأغنية
تعجبه.. أشهر أغنية عن البيغاوات.. وربما تكون الأغنية الوحيدة أصلا
.. أريد أن أشتري هذا البيغاء منك!

وافق (وليد) بعدما عرضت عليه مبلغ مفرغ.. يكفيه لشراء بيغاوات أخرى
ناطقة بدلا من هذا البيغاء الأخرس!

حملت الطائر الجميل إلى شقتى فرحا سعيدا!

لا أعلم السبب الحقيقي وراء عملية الشراء.. ربما لأنى شعرت أنه صديق
عزيز لا يجب أن أهرط فيه! ربما لأنه يجمعنا سر خطيرا! ربما لأنى شعرت بحبه
لى طالما أنه لا ينطق مع أحد غيرى! أو..

ربما لأنى خشيت أن أتركه مع أحدا غيرى.

وفى شقتى فوجئت بالبيغاء يقول:

(أسف يا عمو سامى)!

ضحكت.. البيغاء فعلا لا يتحدث أمام أحد غيرى.. لقد حفظ جملة (وليد)
التي قالها على السطح وراح يكررها الآن أمامى.. ولا أعلم السبب!

لماذا لا يتحدث مع أحد غيرى!

الأمر مريب!

قال البيغاء:

.. بحبك يا سوسو.

(سوسو)! من (سوسو) هذه؟

البيغاء ظل أسبوع عند (وليد) وهذا يعنى أنه حفظ كثير من كلماته.. بعد
أيام رأيت (وليد) يتحدث بوجه محمر من الخجل مع (سوسن) بنت الدكتور

(أسامة الحديدى) جارنا.. أو كما يدلونها (سوسو)
 حب مرهقة.. بين (وليد) و(سوسو) كشفه البيغاء لى!
 ماذا أيضا؟

قال البيغاء بينما أتناول عشائى:

. ألو(مديحة).. ألو(مديحة).. أم (وليد) نائمة.

ترك الطعام ونظرت إلى البيغاء.. فتابع قائلا:

.. أسبوع فى (شرم).. أسبوع فى (شرم).

بعد ذلك علمت من (وليد) أن أبيه الأستاذ (عبد القوى) سافر فى مهمة
 عمل لمدة أسبوع!

ابتسمت ابتسامة خبيثة لم يرها (وليد) البريء.. إن أبيه لديه مهمة عمل
 لذيذة!

هذه المعلومة الصغيرة أفادتنى فيما بعد.. فى أحد الأيام تشاجرت مع
 الأستاذ (عبد القوى) بشأن نظافة العمارة ومشكلة تتعلق بسلة المهملات..
 فقممت باستغلال هذه المعلومة الخطيرة.. فتراجع الرجل فورا خشية أن أفضح
 أمره لأم (وليد) وأهدم كيان الأسرة السعيدة.. فسواء كانت (مديحة) زوجته
 الثانية أو عشيقته فبالتأكيد لا يريد أن تعلم أم (وليد) بأمرها.

تغير تعامل الرجل معى.. صار يتحاشانى، ويتودد إلى فى أى مناسبة
 سعيدة!

فكرت فى الموضوع جيد! طالما أن البيغاء لا يتحدث مع أحد غيرى وفى نفس
 الوقت ينقل أسرار الآخرين لى فلماذا لا أستغل هذا الموضوع استغلال جيد كما
 فعلت مع الأستاذ (عبد القوى)؟

وهكذا خطرت لى فكرة إهداء البيغاء لصاحب العمارة.

ظل صاحب العمارة الحاج (مجدى) يطالبى بدفع الشهور المتأخرة من
 الإيجار.. وهددنى بالطرد.. فقررت إهدائه البيغاء.. ووعدته بدفع المبلغ كاملا

خلال أسبوع.

فرح الرجل بالببغاء وهو لا يعلم أنه يحتفظ بجاسوس صغير في منزله.
في اليوم التالي طار الببغاء من مسكنه الجديد، وعاد إلى شقتي وأخبرني
بأسرار خطيرة عن الرجل.. أطمعته مقابل المعلومات التي حصلت عليها منه
ثم تركته ليطير عائداً إلى مسكنه الجديد.. كأى حمام زاجل يفهم مهمته!
ببغاء ذكي!

نمت في تلك الليلة وعلى وجهي ابتسامة كبيرة وأفكر في أفضل طريقة
لاستغلال المعلومات التي حصلت عليها!

انتظرت أيام حتى طرق الحاج (مجدى) باب شقتي ليطلبني بالإيجار
المتأخر.. ويذكرني باقتراب نهاية المهلة!

. لم يبق سوى يومان يا أستاذ (سامى).

. طبعاً.. طبعاً.. أتذكر ذلك جيداً يا حاج (مجدى).. وصدقني سأدفع لك
المبلغ قبل انتهاء اليومين.. ولو كنت أستطيع أن أدفع لك الآن لدفعت.
وقبل أن ينصرف قلت له:

. سأدفع لك المبلغ كاملاً وفوقه مبلغ آخر.. تبرعاً منى من أجلكم.

لم يفهم الرجل جملتي أو أنه تظاهر بدم الفهم.. فشرحت له أكثر:

. من أجل تمويل عملياتكم الخاصة.. فأنتم تحتاجون كل قرش الآن.

وهكذا كشفت له كل الأوراق.. أخبرته بأننى على علم بانتمائه السرى
لتنظيم سياسى محظور وأنه يستخدم بدروم العمارة فى لقائه بأعضاء التنظيم
وتخزين أسلحة ومتعجرات.

هرب الدم من الرجل.. صار شاحباً كأى مصاص دماء يحترم نفسه أو كأى
جثة قضت بعض الوقت داخل ثلاجة.. قمت بطمأننته.. وتظاهرت بأننى أؤيد ما
يقومون به.. لكن بدا لى أنه لم يصدق ذلك.

المهم.. الرسالة وصلت!

تغير تعامل الرجل معى بعد ذلك.. لم يعد يطالبنى بأى مال.. لم أعد أسمع

أى تهديدات بالطرد... حتى عندما جاء اليوم الذى دفعت فيه المبلغ المتأخر له فوجئت برفضه الشديد.. لكن بعد إلحاح كثير منى أخذ المبلغ فى النهاية.
 فى الأيام التالية.. حاول كسب مودتى ببعض الهدايا.. كأى جار يساعد جاره ببعض السلع.. زجاجة زيت.. كيس سكر.. إلخ!
 هدايا بسيطة أحفظ بها فى شقتى مقابل أن أحفظ بلسانى داخل شفى!
 وأعاد الببغاء لى.. لأنه صامت طوال الوقت.. وشعر أنى سأرعاه أفضل منه!

أما عن حكايتى مع جارتنى (سماسم).. فبالتأكيد تختلف تماما عن حكايتى مع هذا الرجل.
 لقد أهديتها الببغاء من أجل الفضول.. معرفة بعض الأسرار الساخنة عنها..

لا أريد تهديدها أو ابتزازها.. أنا لا أريد شيئا من هذه المرأة اللعوب سوى بعض المعلومات اللذيذة لتضاء وقت الفراغ!
 عرفت من الببغاء أشياء عنها يشيب لهولها الولدان!
 وكان صديقى الطائر يتميز بصفة فريدة من نوعها لا يتميز بها سوى المذيع المثالى والصحفى الناجح.. وهى أنه ينقل لى الأخبار الجديدة فقط.
 أى أنه ينقل لى أخبار (سماسم) أثناء فترة إقامته عندها.. لا يخلط مثلا بين أخبارها وأخبار قديمة عن الأستاذ (عبد القوى) أو الحاج (مجدى) أو غيرهما!

فمثلا لو قال لى يوما ما:

.. آلو (زيكو).. آلو (زيكو)..

فهذا يعنى أنه سمعها عند (سماسم) طالما أنه يقيم عندها هذه الأيام.. لا يتذكر مثلا جملا قديمة سمعها عند جيراننا الآخرين!
 وهذه الميزة أفادتنى كثيرا حتى لا يحدث عندى ارتباك فى المعلومات.. خلط بين الأسرار وبعضها.

وفى يوم.. أهديت الببغاء للأستاذ (وقفى) جارى اللدود ليؤدى مهمته

الجديدة عنده.. بعدما أدى مهمته الخاصة على أكمل وجه عند (سماسم) التي تعلمت منها ألفاظ خادشة للحياء وعبارات ساخنة لم أسمعها من قبل.. تعلمت كل هذا عن طريق لسان صديقي البيغاء الذي نقل لي بعض مكالماتها الليلة وأحاديث السمر الطويلة مع أصدقائها وزوارها

بمرور الأيام.. صار البيغاء ينتقل من شقة إلى أخرى في العمارة كلها.. أهديه لجاري هذا اليوم.. أهديه لجارتى هذه في يوم آخر.. وهكذا صار عندي حصيلة كبيرة من أسرار سكان العمارة.. استخدمت بعضها في أوقات الضرورة والبقية ستفمنى يوما ما بالتأكيد!

الأسرار تقيد دائما

ثم قررت أن أنتقل لمرحلة أخرى.

أهديت مديري البيغاء.. شعر بسعادة كبيرة بهذه الهدية.. لا يعلم مدى خطورتها! هذه خطوة جيدة للتقرب منه! سيكون هناك مجال للحديث بيننا بعيدا عن العمل!

في يوم شكى لي أن البيغاء لا يتكلم أبدا.. فتصنعت الدهشة، وقلت:

عجبا.. لقد قال لي البائع أنه يتحدث بطلاقة.. فهل خدعني؟

نعم يا (سامي).. لكنه على أي حال جميل الشكل.. يصنع جوا ظريفا في المكتب.. أفضل من أي قطعة ديكور اشتريتها.

كنت أريد أن أنفرد بالبيغاء ولو للحظات داخل مكتب المدير لكن هذا كان من رابع المستحيلات فهو لا يفارق مكتبه إلا نادرا..

ولو خرج منه لن يترك أحد الموظفين بمرح فيه حتى لو كان صديقه المقرب الذي أعطاه بيغاء.. لكن الفرصة جاءتني على طبق من ذهب..

لقد طلب مني المدير أن أهتم بالبيغاء لأنه يبدو مريضا.. فأخرجته من قفصه، وأخذته دون أي تعليق مني وأنا أحاول أن أخفي سعادتي الكبيرة.. وذهبت به إلى مكتبي الصغير على الفور.

كان التعب يبدو جليا على البيغاء.. رحمت أطعمه وأداعبه وأنا موقن

أنه سيسترد صحته.. أما لو استمر على هذا الحال فسوف ألجأ إلى طبيب
بيطري.

بعد الأكل.. استعاد عافيته نوعا ما.. وبدأ التكم..

عرفت منه سر خطير يخص مديري!

لكنى لن أحاول ابتزازه.. سأبلغ الشرطة على الفور بما عرفته.. وطبعا
سيكون البلاغ من مجهول.. فاعل خيرا!

عدت إلى مكتب المدير حاملا الببغاء بيدي اليمنى..

هل أصبح جيدا الآن؟

أجبت سؤال مديري قائلا:

نعم.

فتحت القفص لأضع الببغاء فيه لكن حدث شيئا عجيبا..

رفرف الببغاء بجناحيه محاولا الطيران والإفلات من قبضتى.. وضع
«خالبه على جدران القفص من الخارج ليمتنى من إدخاله.. ثم حاول التثبيت
بملا بسى.. خاصة بكم قميصى.. حاولت التخلص من مخالفه القوية ونجحت
فى ذلك بعد عناء شديد.. والنتيجة تمزق القماش.. نظرت له بغضب فرأيت
فى عينيه نظرات استعطاف واستجداء كأنه يريدنى أن أحمله معى وأهرب من
هنا.. شعرت أنه لا يريد أن يدخل هذا القفص مرة أخرى!

عجيبا! لقد دخل أقفاص كثيرة من قبل ولشترات طويلة ولم يفعل هذا أبدا!

ما الأمر؟

أغلقت القفص وتركته وانصرفت.. لكنى ألقيت نظرة أخيرة عليه فشعرت
أنه ينظر لى بتوعد..

أوهكذا خيل لى!

اتصلت بالشرطة، وأبلغتهم بشأن الأثار التى سيتم بيعها الساعة الرابعة

فجرا عند شارع (مخاوف)..

فى اليوم التالى سمعت أن المدير لم يحضر.

يبدو أن رجال الشرطة اهتموا بالبلاغ!

مررت من أمام حجرة المدير.. كان بابها موارباً.. لمحت سكرتيره بداخلها..
اقتربت أكثر من الباب لأرى البيغاء.. لكنى وجدت القفص خالياً
أين ذهب؟

انتظرت حتى خروج السكرتير من الحجرة وسألته عن المدير.. أخبرنى
أنه حضر فى الصباح الباكر.. أخذ بعض الأوراق ورحل بسرعة.. سألته عن
البيغاء:

. أين؟

. لقد أخذه مع الأوراق.

. بدون القفص؟

. البيغاء كان مريضاً.. قال أنه سيأخذه إلى الطبيب.

وأغلق السكرتير الحجرة جيداً، وعاد إلى مكتبه.

فى مساء نفس اليوم فوجئت بزيارة خاصة من مديرى..
زيارته الأخيرة لى!

فى تلك الليلة سهرت أتابع مسلسل (ليالى الحلمية).. أحد الأعمال
الدرامية الكلاسيكية الخالدة.. ثم شاهدت فيلم رعب.. توقعت أن يطير النوم
من عيني.. لكنى فوجئت بالنوم يداعب جفونى بسبب أحداث الفيلم المملة التى
يعتقد صناعه أنها مثيرة!

أطفأت التلفاز، وذهبت إلى سريرى وأنا أذكر فى البيغاء.. كيف حاله الآن؟
هل كان مريضاً حقاً؟ ما الذى أصابه؟

وشعور شوى بالوحدة يجتاحنى.. كان البيغاء رفيق مسكنى.. الذى يحادثنى
بما سمعه دون أن يفهم ما يقوله.. وأحادثه دون أن يفهم ما أقوله.. أو هذا ما

أم أسأله إن كان يحب المشروبات الساخنة أم الباردة؟ أم أسأله عن صحته
 وحال العمل وسبب غيابه اليوم مع أنني أعلم السبب جيدا.. لكن قليل من
 الدردشة مفيدة في هذا الجو القاتم الفريبي!

لكنه لم يعطني فرصة للتحدث فقد بادرني قائلا:

. أنت الذي أبلغت الشرطة!

(كيف عرف؟) لكنني طبعا لن أسأله هذا السؤال.. تظاهرت بالجهل،
 وسألته:

. ماذا؟ أنا لا أفهم شيئا.. أنا لم أبلغ الشرطة عن أي شيء.. ما سبب قولك
 هذا؟

سوف يخرج يده.. ها هو يخرج يده.. ما الذي يخبئه تحت هذا البطون؟
 مسدس؟ هل ينوي قتلي في شقتي..! يده سوف تظهر الآن بما تحمله و..

. البيغاء!

. نعم.

كان يقبض على البيغاء بيده اليميني حتى لا يفلت منه.. فسألته:

. كيف حاله؟ لقد سمعت أنه مريض.

قال المدير وهو ينظر إلى طائري العزيز:

. نعم كان مريض.. وعالجته عند أفضل طبيب.. وعندما تحسنت حالته ردّ
 الجميل لي، وبدأ التكلم.. وعرفت منه كل شيء.

طائري الخائن العميل!

ما الذي قاله له؟

ظلت صامتا.. لا أعرف ماذا أقول.. هل أنكروا؟ لكنه لن يصدقني.. هل
 ادعى عدم الفهم؟

أكمل حديثه قائلا:

. لقد أخبرني بأسراري.. وهذا يعني أنه سمعها مني وقالها من قبل أمام
 أحد.. ولأنني أعلم جيدا أنه لا يتحدث مع أحد حتى أنا.. لم يكن يتحدث معي

قبل علاجه.. لذا استنتجت الشخص الوحيد الذى يمكن أن يكون قد تحدث معه.. وهو نفسه الشخص الذى أهدانى إياه.. هدية عبارة عن جهاز تسجيل بل أفضل من أى جهاز تسجيل لأنه لا يمكن الشك فيها أبدا! لقد أخبرنى بموعد التسليم ومكان التسليم .. و.. و..

الجاسوس الوجد! لقد باعنى مع أول شخص اهتم به.. ربما لو كنت عالجتة لظل على وفائه لى.. ربما فعل ذلك ليفضح أمرى.. لقد انتقم منى لأنى تخليت عنه وقت مرضه!

نهض المدير من المقعد، وفرد قبضة يده ليفلت البيغاء، وقال:

.. خذ طائرک اللعين!

طار البيغاء فى سقف الحجرة لبعض الوقت ثم خرج منها لينطلق إلى باقى أنحاء الشقة.. قال المدير:

.. الغريب فى الأمر.. عندما سألت الطبيب لماذا لا يتكلم فقام بفحصه بمنأى ثم أخبرنى أنه أصم.. لديه عيب خلقى فى أذنه يمنعه من السمع.. وطالما أنه لا يستطيع السمع فبالنأى لن يستطيع النطق! لذا عندما سمعت صوته اعتبرت الأمر بمثابة معجزة!

ثم ضحك المدير بقوة، وتابع قائلا:

.. واتضح أن الأمر ليس معجزة.. ويبدو أن الطبيب كان مخطئاً فى تشخيصه.. فالبيغاء يتحدث بطلاقة ويسمع جيدا جدا.. لقد كان يسمع جميع الحوارات من أول يوم له فى مكتبى ويحفظها جيدا حتى أنه لا يزال يتذكرها حتى الآن.. ولقد أخبرنى بها جميعا.. وبالتأكيد فعل المثل معك! لذا لم يعد لدى شك أنك الذى أبلغت الشرطة!

ليس أمامى سوى الإنكار.. قلت:

.. أنا لا أفهم شيئا من هذه القصة.. ما أعرفه أنك شكوت لى أن البيغاء لا يتكلم واتضح أنه أبكم.. والطبيب أخبرك أنه أصم أيضا.. كل علاقتى بهذا البيغاء أنى اشتريته هدية لك.. وأخبرنى البائع أنه يتكلم واتضح أنه نصب على.. لأن البيغاء لا يتكلم فعلا! لقد حاولت معه ولكن بلا فائدة!

اقترب المدير منى وهو يقول:

. الإنكار لن يفيدك.. لقد عرضت الحقيقة كاملة.

ثم لوح بإصبعه مهدداً بقوله:

. ولن أرحمك..

ثم ابتسم بغموض وتابع:

. إلا إذا..

انتظر قليلاً.. كان يعتقد أنني سأسأله (إلا إذا ماذا؟) لكن مثل هذا السؤال يعنى الاعتراف الضمني بما ارتكبته.. وأنا لن أعترف أبداً! هذا البيغاء أبكم وأصم ولن أعترف بشيء غير هذا.. ربما أعترف بأنه أعمى أيضاً إذا لزم الأمر!

قال المدير بعد صبر طويل:

. إلا إذا اعترفت أنك من دبر كل هذا.. أنت صاحب البضاعة وأنت الذى حددت ميعاد ومكان التسليم.. وأنت الذى ورطتني فى هذا الموضوع دون علم مني!

كنت أعتقد أن المدير أذكى من ذلك! إن الاعتراف أمامه بأن البيغاء جاسوس صغير أسهل من الاعتراف بهذه الجريمة بكثير! ما الذى يجعلني أعترف بجريمة لم أرتكبها؟ ما الذى يجبرني على توريط نفسي فى هذا الأمر؟

. لأنك من ورطتني فى هذا.. فلولا بلاغك لكنت الآن على مكتبي أحسب المال الذى جنيته من وراء هذه العملية!

. عملية دنيئة وخسرتها.. وسوف تخسر كل شيء بسببها.. أنت من فعلت ذلك بنفسك.. أما أنا فلم أفعل شيئاً حتى أخسر!

. بل فعلت.. تجسست على مديرك!

جلست على المقعد وضحكت قائلاً:

. حسناً.. سأعترف.. نعم.. أنا تجسست عليك.. ولست وحدك فقط.. بل تجسست على سكان العمارة جميعهم.. جيراني وأصدقائي.. ويمكن أن أعترف بذلك أمام الجميع.. كنت أهدبهم البيغاء لئلا يسمعون ما يقولونه ويأتى لى ليخبرني

بكل شيء.. كنت الوحيد الذى يتكلم أمامه.. لكنه باعنى عندما تخليت عنه أثناء مرضه! هذا كل شيء.. هل تعتقد أن هذه الجريمة يمكن أن يحاكمنى عليها أحد.. أو أن الشرطة ستقبض على البيغاء وتودعه السجن؟ إذن من الخاسر الآن؟

. أنت الذى ستخسر كل شيء.. ستخسر وظيفتك.. مرتبك ومعاشك! أما إذا اعترفت بموضوع الأثار فسوف أرفع مرتبك.. أضعفه.. وسأعطيك مبلغا... ضحكك وقلت ساخرا:

. وماذا أفضل بالمال وأنا فى السجن؟

أتجه المدير نحوى، وقال بغضب:

. ما الذى تعنيه؟ هل تعتقد أننى سأتركك تحطمنى؟ لا.. لا أبدا.. لن تقلق بفعلتك هذه.

وانقض على ليخفنى.. كان جسده ثقيلًا فسقط المقعد بنا.. حاولت تخليص رقبتي من يديه لكنى فشلت.. كانت قبضته قويتان جدا وجسده الثقيل فوقى.. لا أستطيع التنفس.. أختنق.. أختنق..

ثم حدثت المعجزة التى أنقذتنى!

طار البيغاء فوق المدير.. وراح يفرس مخالبه فى رقبته، وينقر بمنقاره فى رأسه.. فنزع المدير أظفاره من رقبتي ليبعد البيغاء عنه.. فانتهزت الفرصة، والتقطت أنفاسى أخيرا واستجمعت قوتى ودفعت جسد المدير الضخم بعيدا عنى..

لقد أنقذنى البيغاء فى اللحظة الأخيرة.. لكن لماذا؟

لقد اعتقدت أنه باعنى! لكن يبدو أنها كانت قرصة أذن لى.. مازال صديقى البيغاء يعمل من أجلى ويحافظ على حياتى!

تعاركت مع المدير بالأيدى والأقدام.. لا داعى من ذكر تفاصيل المعركة لأنى أعتقد أنها ستكون مملة.. كأن تقرأ مثلا تطبيق كامل مكتوب عن مباراة كرة القدم.. قمة الملل.. المهم هو المشاهدة ومعرفة النتيجة.. ما الذى سأستفيد به وأية

متعة سأجدها عندما أقرأ أن: اللاعب (فلان) أعطى الكرة للاعب (علان) في الدقيقة العاشرة من الشوط الأول ثم ركلها بقدمه ركلة قوية لتصل للاعب ثالث الذي بدوره أعطاهما للاعب رابع.. ملل ملل ملل.. وسوف تجتاز التعليق بسرعة لتصل بعينيك لأخر سطر لكى تعرف النتيجة.. حسنا.. سأخبركم بنتيجة شجارنا: فقد المدير وعيه نتيجة ضربة رأسية مباشرة!

وقفت في منتصف الصالون حائرا.. ماذا أفعل؟ كيف أتصرف عندما يستعيد وعيه؟ وما الذى سيحدث بعد ذلك؟ سأفقد وظيفتى طبعاً وربما أفقد حياتى نفسها إذا أمر أحد رجاله بالتخلص منى! وبالتأكيد لن أعترف بأى شيء.. حتى لو أغرانى بالمال.. ما العمل إذن؟
وفجأة..

رأيت أغرب شيء يمكن أن أراه فى حياتى.

كنت مشغولاً بالتفكير فى مستقبلى وكيفية الخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر.. عندما لمحت البيغاء يقف على المنضدة التى تتوسط الصالون.. ويقوم بزحزحة الزهرية الثقيلة من مكانها.. حتى سقطت بدوى عنيف وتحطمت إلى أجزاء كثيرة.. ليس المهم الزهرية وتحطمها.. المهم أين تحطمت؟ لقد سقطت فوق رأسى مديرى مباشرة!

هل تعمد البيغاء ذلك؟

أخشى كثيرا الإجابة!

سال الدم من رأس مديرى بفزارة بعد سقوط الزهرية فوقه.. وأعتقد أنه سيفارق الحياة خلال لحظات فأنا رأيت المشهد جيدا وأعلم أنها سقطت فوق رأسه مباشرة.. وأعلم جيدا وزنها الثقيل.. وقصر المسافة بين المنضدة ورأس مديرى.. وزاوية السقوط وقوة اندفاعها نحوه بفعل الجاذبية!

هبطت على ركبتي.. ورحت أتحسس نبضه..

مات.. بالتأكيد مات.. لا شك فى ذلك!

نظرت للبيغاء بقلق وحذر.. أول مرة أرى طائرا يقتل إنسانا.

هل قتله من أجلي؟ هل قتله ليخلصنى من الحيرة التى تملكتنى؟ هل قتله ليثبت لى أنه مازال وفيأ لى؟ هل أفسى السر ليعود لى.. وبعد عودته لم يعد يحتاج لأحدا غيرى ولذلك قتله؟ هل قتله ليحذرنى؟

وارتجف جسدى من الاحتمال الأخير!

لقد قتل المدير من أجلي اليوم.. فماذا لو أغضبته أو أهملته فهل سيقنننى كما قتله؟

نهضت من مكانى، ورحت أغلق جميع النوافذ جيدا.. حتى لا يطير الببغاء.. ويهرب من أحدها.

لقد قررت القضاء عليه!

أثناء ذلك اصطدمت بأحد المقاعد فسقطت على الأرض محدثا صوتا عاليا.. تعثرت فيه فسقطت فوقه فشمرت بألم رهيب صرخت بقوة.. فى نفس اللحظة سمعت جرس الباب.. أحدهم يضع إصبعه عليه ولا يريد أن يرفعه.

نظرت إلى الببغاء.. وجدته يقف ساكنا فى ركن الغرفة لا يتحرك.. ظهره لى فلم يرى شيئا مما حدث.. لكن ألم يسمع كل هذا؟ فى تلك اللحظة.. أيقنت أن الطبيب كان محقا فى قوله رغم غرابته.

هذا الببغاء أصم!

قلت بأعلى صوتى:

. حاضر.. انتظر قليلا.. سأفتح الباب.. حاضر.

والببغاء لا يتحرك.. إما انه أصم أو ميت!

اقتربت منه.. واقتربت.. واقتربت.. حتى رأى ظلى على الجدار أمامه

فالتفت لى وطار ليقف على كتفى.

تأكدت مرة أخرى أنه أصم.. رغم غرابه هذه الحقيقة لكنه كذلك بالفعل..

لكن كيف سمع كل الحوارات السابقة؟ أوبعنى أدق.. كيف عرف بها طالما أنه

أصم؟ أم أنه فقد السمع مؤخرا لكنه كان يسمع جيدا قبل ذلك؟ ثم تذكرت

قول المدير أن الطبيب أخبره بأن الببغاء (لديه عيب خلقى يمنعه من السمع)..
والعيب الخلقى لن ينشأ فجأة.. هذا يعني أنه أصم منذ مولده!

ما حقيقة هذا الببغاء!

ومن أين أتى؟

ما سره؟

رفعته عن كتفى فطار إلى سقف الحجرة.. رحى أدفع جثة المدير تحت الكنبه
لأدائها عن الأعين.. ومسحت الدماء الناجمة عن إصابة الرأس القاتلة!
ثم فتحت الباب للطارق..

.. سمعنا صوت عراك وصرخات.. فطرقنا الباب لنطمئن عليك يا أستاذ
(سامى).

كانوا جيرانى الأعمى.

لا تقلقوا.. أنا بخير.. ربما تركت صوت التليفزيون عاليا.

كان التليفزيون مطلقاً مما أثار ريبتهم.. لكنى أفتعتهم أن كل شيء على ما
يرام فى النهاية رحلوا وتركونى وحيداً مع قتيل وقاتل!

قبل التخلص من الجثة.. لابد من التخلص من سبب كل هذه المصائب..
الذى جعلنى أقتل صديقى وأتجسس على جيرانى.. وقُتل مديرى!

النوافذ كلها مغلقة! لن يفلت منى! إنه مجرد طائر! وأصم أيضاً!

لابد من هدوء الأعصاب حتى لا يعلم بما أنتويه!

اقتربت منه فطار ناحيتى فرحاً.. فأمسكت به.. ثم أحكمت قبضتى عليه
ففهم نيتى فراح يرفرف بجناحيه ليطير فأمسكت جناحيه جيداً.. كيف
ستتخلص منى يا صغيرى؟

وذهبت إلى المطبخ.. ها هى السكين..

سأذبحه وأخلص الناس من شروره.

أحكمت قبضتى عليه تماماً.. ثم وجدت حبلاً صغيراً ففكرت فى ربط ساقيه

حتى لا يستطيع الطيران لأتمكن من ذبحه جيدا.. وربما أفكر فى طهيه بعد ذلك..

تُرى ما طعم لحم البيغاء؟

ربما أتناول صديقى الصغير على الفطار غدا!

رحت أربط ساقيه بإحكام وأنا أضحك من الانتصار عليه..

وفجأة..

انطلق صياحه فى المكان..

قال بصوت عال جدا..

. النجدة.. النجدة!

يا إلهى! متى سمع هذه الكلمة؟ وكيف فهم معناها؟ وكيف عرف أنها الكلمة التى ستفيده الآن؟ ما سر هذا البيغاء الشيطانى؟

حاولت أن أمسك منقاره لأمنعه من الصراخ.. فمضى.. وراح يقول:

. النجدة.. الغوث.. الغوث.

(الغوث) أيضا! يا لك من بيغاء ماكرا! كان صوته يشبه صوت البشر وهذا طبيعى فهو بيغاء فى النهاية.. لم أقل يوما أنه حمار يملك أبفض الأصوات.. إنه بيغاء كأى بيغاء يقلد أصوات البشر!

صوت الجرس مرة أخرى.. الجيران الأعزاء!

ربما يمتقدون أنى أستغيث.. لكن هذا لا يشبه صوتى.. ربما اعتقدوا أنى أقتل أحدا وهذه الضحية تستغيث!

. النجدة.. النجدة.. الغوث.. الغوث.

. لن ينفكك الصراخ.. سأعود لك يا صغيرى.. ولن تنفكك هذه الحيل!

وربطت ساقيه جيدا.. لن يستطيع الطيران.. أو بتعبير أدق.. لن يستطيع التحرك!

. ما الأمر يا أستاذ (سامى)؟ لقد سمعنا صراخا.. وأحدا يقول (النجدة..

الغوث)!

قالت (هدير).. الطفلة الصغيرة التي تقف بجوار أمها:

.ولماذا تربطه هكذا يا عمو؟

.النجدة.. النجدة.. الفوث.. الفوث.

.أعاقبه.. لكنى سأفك قيده بالتأكيد عندما تنتهى فترة العقاب.

.نعم.. مثلما فعلت أمى وربطتى فى السرير ليلة أول أمس.

.أخرسى يا بنت.

كانت الجملة الأخيرة من أمها بعدما رمقتها بنظرة تهديد ووعيد..
فانكملت البنت الصغيرة وصمتت.

اطمنن الجيران، وتأكدوا أن الصوت صادر فعلا من البيغاء، وقرروا
الرحيل.

اعتقدت أن الأمر قد انتهى وظهرت على وجهى ابتسامة عريضة.. بعرض
البحر.. لا بعرض السماء.. فقد شعرت أنى انتصرت على البيغاء ولن يخلصه
أحدا من قبضة يدي.. سأقرأ الفاتحة على روحه الليلة وأذوق لحمه غدًا!
ثم اخفتت الابتسامة التي كانت بعرض السماء ولم يتبق منها مليمتر واحد
عندما سمعت البيغاء يقول:

.(سامى) الخائن.. (سامى) الخائن.

تلك الجملة التي سمعتها من البيغاء أول مرة فى منزل صديقى (عزت)..
لماذا يكررها الآن؟.. لماذا؟

سمع الجيران ما قاله البيغاء فضحكوا.. أما أنا فشعرت بالقلق الشديد..
خشيت أن يخبرهم الآن بأسرارهم التي نقلها لى.. كما فعل مع المدير وأخبره
بأسراره.

وقتها سيعرف الجميع أنى عرفت أسرارهم عن طريق البيغاء وينكشف
الأمر..

وليته فعل!

ليته قال ذلك بدلا مما قاله فيما بعد!

فلو أنه كشف السر سيعرف الجيران وسيلة التجسس التي استخدمتها..

وربما يفضيوا منى ويقاطعوني..

فقط لا شيرا

لكن ما قاله البيغاء كان أسوأ من ذلك بكثير.. قال آخر شيء يمكن أن أتصوره.

كنت قد أغلقت باب المطبخ وكأنتى أغلق قصة البيغاء للأبد.. ورحت أودع الجيران توديع حار عندما سمعوا البيغاء يقول:

. الجثة تحت الكنب.. الجثة تحت الكنب.

وقفوا جميعا مذهولين.. وأنا منهم بالتأكيد! هم تعجبوا لأن الجملة غريبة على لسان بيغاء أما أنا فتمجبت لأن الجملة صحيحة تماما.. لكن أين تعلمها؟ أنا لم أقلها أمامه.. فمتى سمعها؟

وكيف عرف أنها مفيدة جدا في تلك اللحظة؟

إذن هو لا يقلد ما يسمعه.. هو يفهم ما يقوله ويتعلم وينطق مثل أى طفل صغير.. ذلك البيغاء اللعين! من أين جاء بالضبط؟ ما هو سره؟

حاولت أن أتصنع الابتسام، وقلت:

. إنه يهوى المسلسلات الدرامية.. يسمع مشاهد العنف.. فلان قتل علان..

النجدة الغوث.. ويقتله ويخبأ الجثة تحت الكنب وهكذا! أفلام ومسلسلات!

صاح البيغاء من جديد:

. الجثة تحت الكنب.. الجثة تحت الكنب.

ويحركة لا شعورية نظر بعضهم ناحية الكنب.. لا شيء مريب.. ونظرت الصغيرة (مدير) مثلهم.. لأنها أقصرهم وأقربهم إلى الأرض لمحت ما لم يلمحوه.. صاحت فجأة:

. إصبع!

وهنا انكشف كل شيء بسبب إصبع يد المدير الذى ظهر أمام الطفلة الصغيرة.. للأسف تمجلت في إخفاء الجثة فلم أهتم بتغطيتها جيدا!

أتذكر رحلتى الطويلة مع البيغاء وأنا جالس مقيدا بحبال غليظة إلى أحد المقاعد فى صالة شقتى.. يحرسنى جيرانى لحين وصول رجال الشرطة.. أتذكر قتلى لصديقى الذى علمت بعد ذلك أنه طلق زوجته بناء على رغبتها.. هى كانت تريد الإنجاب وهو لا يستطيع.. أى أنها لم تكن حامل وهو لم يكن يشك فى أحد وبالتالي لم يكن ينوى قتلى.. لقد خنفته بيدى بسبب هذا البيغاء اللعين.. الذى زرع الشك بداخلى.. أتذكر تجسس على جيرانى.. أتذكر قتله لمديرى

أرمق الطفلة (هدير) وهى تداعب البيغاء. بعد أن فكوا قيده. وتساءل أمها:

. هل يمكننى الاحتفاظ به؟

فتومىء أمها برأسها إيجابا مبتسمة بحنان.. بينما البيغاء يشدو للصغيرة:

. ليه يا زمان ما سيتناش أبريا!

. يا له من بيغاء ظريضا!

(تمت بحمد الله)

(١)

" قبل أن..... "

ضللت الطريق في الصحراء، ولم أعد أعرف إلى أين أتجه بسيارتى..
 الصحراء الشاسعة ممتدة أمامى بلا نهاية.. ولا توجد علامة أو إشارة..
 فقط صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء.. وأهم شيء فى الحياة هو الماء.
 ولقد كنت ظمآن جدا جدا.. زجاجة المياه فارغة تماما.. لا توجد بها قطرة
 واحدة.. وآخر مرة شربت فيها كانت منذ ساعات.. الجو حار خانق.. ودرجة
 الحرارة مرتفعة للغاية تجعلنى أتصعب عرقا بكميات مهولة.
 أريد أن أشرب فورا.. لا أريد أن أموت من العطش.

" قبل أن تشرب..... "

وفجأة..
 وبينما أقود سيارتى على غير هدى لمحت بثرا.
 نعم.. وجدت بثرا فى هذه الصحراء القاحلة.. وتحت هذه الشمس
 المحرقة.

لا أصدق نفسى.

هل أنا أتخيل ما أراه؟

" قبل أن تشرب أحذرك..... "

أوقفت سيارتى على الفور.. وأنا أدعو الله أن يكون البئر ممتلئ بالماء..

كنت أرى الأمر أشبه بمعجزة.. ولكن الأمل موجود.
ترجلت من سيارتي وأسرعت الخطى نحو البئر، وقلبي يخفق بعنف.

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا..... "

كان الاحتمال الأقرب للواقع أن يكون البئر جافاً.. ولكن الخيال تحقق
والمعجزة كانت بانتظاري..

وجدت البئر ممتلئاً بالماء.. يبدو أنني محظوظاً
ولكن..

قبل أن أشرب اجتاحتني بعض المخاوف.. ربما كان الماء مالحاً أو ملوثاً
أو...

لم أنتظر لتزيد مخاوفي وشكوكي وشربت على الفور.
..و

لقد كان الماء عذباً جميلاً..

فشربت.. وشربت.. وشربت..

حتى امتلأت بطني.. ثم صببت الماء على رأسي وغسلت وجهي.. وعندما
انتهيت جلست أستريح وأسندت ظهري على جدار البئر.

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر... "

بعد فترة راحة قصيرة..

نهضت لأستكمل رحلتي في هذه الصحراء.. لعلني أصل إلى الطريق الصحيح
وأعود للديار.. وهجأة..

انتبهت لوجود بعض الكلمات المكتوبة على جدار البئر.. معظمها مختبئة

تحت الرمال.

لم أهتم بها واستكملت سيرى نحو سيارتى.

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه..... "

وقبل أن أجلس أمام عجلة القيادة..

بدأت أفكر جدياً فى شأن تلك الكلمات التى لمحتها على جدار البئر.. ربما تكون هامة.. قد تدلنى على الطريق مثلاً.. أو فيها تحذير من شيء ما.. تحذير من أرض ألغام مثلاً أو..
تحذير من ماء البئر.

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها..... "

عدت إلى البئر لأقرأ العبارة المكتوبة.. والفضول والقلق يقتلنى..

انحنيت أمام البئر لأزيع الرمال بيدي لأستطيع القراءة.

كانت الكلمات منحوتة بقوة على جداره بطريقة لا يمكن محوها بسهولة.

لقد كانت جملة تحذيرية.. تقول:

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها
ستجعلك..... "

وكانت باقى الكلمات مدفونة تحت الرمال.

القلق والخوف يعصفان بجسدى وقلبى يخفق بعنف.

ما سر هذا البئر؟ لماذا يحذرون من مائه؟

وعلى الفور غرزت أصابعى فى الرمال لأعرف إجابة أسئلتى..

أزحت الرمال بسرعة لأستطيع قراءة بقية الجملة .
وأخيرا ..

ظهرت الكلمة الأخيرة فى الجملة التحذيرية.

(٢)

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها
ستجعلك.... "

" ذئب "

كانت هذه هى الكلمة الأخيرة ..

ما هذا الكلام الفارغ؟ مياه تحول من يشربها إلى ذئب ..

أنا شربت من هذا البئر وبكثرة .. فهل هذا يعنى أنى سأتحول إلى ذئب؟

وانفجرت من الضحك وأنا أتخيل نفسى أدخل إلى مديرى فى العمل وأطالبه
بملاوة .. فيرفض كعادته .. فأستشيط غضبا فأتحول إلى ذئب على الفور ..
فيعطئنى كل ما فى الخزينة ليشجعنى على الانصراف فورا من مكتبه .. وربما
يفرغ ما فى جيبه بعد رؤيته للدماء التى تسيل من أنيابى البارزة ومن مخالبى
الحادة.

أحمل المبالغ الهائلة وأخرج من مكتبه بعد تمزيق ذراعه على سبيل

التحية ..

أتجه إلى السكرتيرة الحسنة وأنا ألوك قطعة من ذراع المدير فى فمى كأنها

قطعة لادن.

إنها لا تنظر لى ولا تهتم بى كعادتها عند خروجى من مكتب مديرها وتدعى
انشغالها فى مراجعة بيانات مهمة على شاشة الحاسوب أمامها .. فأطلق عواء

قويا مخيفا يرج مكتبها.. كان الفرض منه هو تببيها لخروجي..
 فتقفز من مقعدها في هلع وتنظر لى بمنتهى الفزع.. ثم تقذف بنفسها من
 النافذة وهى وسيلة أسرع من المصعد الكهربائى فى الوصول إلى الأرض.
 ربما لا تتلق بكلمة قبل قفزها لكنها ستظل تصرخ بقوة أثناء طيرانها فى
 الهواء.. وتلك السكرتيرة تمتلك حنجرة قوية!
 ثم أذهب إلى زملائى فى العمل.. لأرى ردود أفعالهم عند رؤيتى فى هيئتى
 الجديدة.

تُرى كيف ستكون ردود أفعالهم؟

أظن أن (سعيد السعيد) سيقول (رائع! فكرة عظيمة.. أظن أنك بهذه
 الطريقة ستحصل على العلاوة التى تنتظرها منذ ربع قرن).. أما (مدحت
 كريم) سيقول ضاحكا (ما هذه الملابس السخيفة!؟.. إن جميع المدعوين فى
 الحفلة التكرية سيسخروا منك بالتأكيد).. أما (حاتم شلبى) فربما يسألنى
 باهتمام (من أين أتيت بهذه الملابس؟)..

أنتقم بعدها نفسا عميقا ثم أطلق عواء عاليا.. تظهر خلاله أنيابى
 الحادة.

وقتها سيشك الجميع فى مسألة تكبرى..

بعد ذلك ألتهم أصابع صديقى السمج (شكرى) فيتأكد الجميع أننى لست
 متكبرا.. وأننى ذئب بالفعل..

وقتها لن يفكر (سعيد) فى العلاوة.. بل سيفكر فى المعاش الذى ستحصل
 عليه زوجته بعد وفاته.. أما (مدحت) فلن يفكر فى الملابس التكرية التى
 سيرتديها بل سيفكر فى الكفن.. أما (شكرى) فلن يفكر فى استعادة أصابعه
 بل سيفكر فى الاحتفاظ ببقية أجزاء جسده.. ويهرب الجميع من أمامى على
 الفور.

يا لها من أفكار جامحة!

ولكن... هل يمكن أن تتحول إلى واقع.. وأن أتحوّل إلى ذئب بالفعل؟

وقبل أن أوصل التفكير.. لمحتها..

كانت تسير برشاقة ونعومة تجاهي..

فتاة فى العشرينات من عمرها... جميلة جدا بل أجمل فتاة رأتها عيناي..
تستحق لقب ملكة جمال الكون عن جدارة.

من هذه الفتاة الساحرة؟ ومن أين أنت؟ هل ضللت الطريق مثلى؟
وقفت أمامى مباشرة وتطلعت لى بعينيها الساحرتين وسألتنى بصوتها
الرقيق العذب:

. ما الذى أتى بك إلى هنا؟

أجبتها على الفور:

. أنا مهندس بترول.. أعمل فى منطقة قريبة من هنا.. وقد ضللت الطريق
أثناء عودتى من هناك.

قالت بابتسامة عذبة رقيقة:

. يمكننى أن أدلك على الطريق.

تأملت حسنها الخارق وقلت:

. لقد اعتقدت أنك ضللت الطريق مثلى وكنت سأسألك عن مكان سيارتك.

ابتسمت لى وقالت:

. لا.. أنا أسكن هنا.

سألته متعجبا:

. أين؟.. أنا لا أرى أى منازل هنا.

. انظر خلفك وسوف ترى بيتى.

نظرت خلفى.. وجدته بالفعل.

نعم.. هناك بيت.

ولكن..

كيف لم ألاحظه من قبل؟!

(٤)

سألته عن اسمها.. قالت:

. اسمي (غادة).

. اسم جميل.

. وأنت؟

. اسمي (محسن).

نظرت إلى البئر وقلت:

. أخبريني يا (غادة).. ما حكاية هذا البئر؟

وأشرت إليه ثم تابعت قائلاً:

. لقد قرأت تحذير عليه.. فهل..

قاطعتني قائلة بقلق:

. هل شرب منه؟

لا أعرف لماذا كذبت عليها وقلت:

. لا.. لم أشرب منه.. لقد قرأت التحذير فخفت.

قالت بابتسامة هادئة:

. الحمد لله.

سألته باهتمام:

. لماذا قلت هذا؟ هل فعلاً...

قاطعتني قائلة:

. نعم.. ما قرأته حقيقي.

سألته وأنا أخفي قلبي:

. هل تفين أن من يشرب من هذا البئر يتحول إلى ذئب بالفعل؟

أجابتنى قائلة بكل ثقة:

. نعم.. أسطورة البئر حقيقية.

دعنتى (غادة) لدخول بيتها لكى أشرب فهى تمتد أننى ظمآن.. ولم أروى عطشى من البئر.. رحبت بالفكرة.. ودخلت معها إلى هناك مستمتعا بصحبتها.

لا قلق أو خوف من دخول البيت..

أولاً: ما الذى يثير القلق فى بيت فتاة جميلة هادئة مثلها؟

ثانياً: كيف أخاف وسوف تحولنى المياه اتى شربتها إلى ذئب؟.. هذا إذا كانت أسطورة البئر حقيقية كما تقول الفتاة.

من المعروف أن الذئاب لا تخاف من البشر..

إذن الخوف على الفتاة.. عندما أتحول أنا إلى ذئب.

" من الذى يسكن معك هنا؟ "

سألتها هذا السؤال لأنى لم أسمع صوتاً لأى أحد منذ دخولى بيتها.

أجابتنى قائلة بهدوء شديد:

. لا أحد.

قلت لها مندهشاً:

. كيف (لا أحد)؟ أين عائلتك؟ أهلك؟ أمك؟.. أخيك؟.. أختك؟

أعطينى زجاجة مياه وهى تقول لى ببرود:

. لا يسكن أحدا منهم هنا.

سألتها بفضول:

. كيف تقضين حاجاتك إذن؟

. أشتري كل مستلزماتى من قرية صغيرة بالقرب من هنا وأذهب إليها

بسيارتى.

لن أشرب.. فقد ملأت بطنى من مياه البئر.. سوف أنتهز فرصة انشغالها

فى أى وقت ثم ألقى ببعض الماء من النافذة لكى تفهم أنى شربت من الزجاجة

عندما تجدهما قد نقصت.

سألته مندهشا:

. من يصرف عليك إذن؟

. أيبى.. يبعث لى بالمصروف كل شهر.

قلت بغضب:

. كيف يتركك هكذا.. تعيشين بمفردك هنا.. فى هذا المكان الموحش الكئيب..

بعيدا عن العمران؟

أجابت بهدوء:

. لقد طلبت منه هذا.

سألته متعجبا:

لماذا؟

. أريد أن أستقل بنفسى.

ثم سألتنى بجدة:

. هل هناك أى أسئلة أخرى؟

يبدو أنى ضايقتها بأسئلتى الكثيرة.. فقلت على الفور:

. لا.

مرت دقائق من الصمت قلمعتها قائلا:

. على أن أرحل الآن.

قالت بابتسامة ودودة:

. يمكنك المكوث قليلا لو أحببت.

أتمنى ذلك ولكنى أحببتها:

. أخشى أن أسبب لك إزعاج.

أعطلتى ابتسامة جديدة وقالت:

. لا.. لا يوجد أى إزعاج... بل يمكنك المبيت أيضا لو أردت.

سألته مندهشا:

كيف؟

أجابت بهدوء شديد وهى تشير إلى إحدى الحجرات:

ستنام فى هذه الحجرة.

ثم أشارت إلى حجرة أخرى وقالت:

بينما أنام أنا فى حجرتى هذه.

لا أصدق نفسى.. هذه الفتاة تعرض على المبيت معها فى بيتها.. يبدو أن اليوم هو يوم حظى بالتأكيد.. لكنى قلت لها بابتسامة لطيفة:

هذا كرم زائد منك.. ولكن على أن أنصرف الآن.

كنت أخشى أن تكون الأسطورة حقيقية كما أخبرتنى..

أسطورة البئر..

ولذلك خشيت المبيت هنا لأنى أخاف عليها عندما أتحول إلى ذئب.. ما ذنب

هذه المسكينة إذن؟

يبدو أنها قد وقعت فى غرامى من النظرة الأولى.. والدليل على ذلك أنها

قالت بإصرار شديد:

لن تخرج.. ستبيت هنا الليلة.

قلت محتجا وأنا أشاهد من خلال النافذة مشهد الغروب:

لا.. سأخرج الآن.

كيف تغرب الشمس الآن؟ لقد كانت ساطعة فى السماء منذ دقائق.. كيف

لم ألحظ مرور كل هذا الوقت؟

قالت بإصرار عجيب:

لا.. لن تخرج من هنا الليلة.

سألته مندهشا:

لماذا إصرارك هذا؟

قالت بحزم:

. لقد قلت كلمتي ولن أكررها.. لن تخرج وستبيت هنا الليلة.

قررت مصارحتها بما يجول في صدري.. حتى أخرج من هنا بدون أدنى اعتراض.. قلت لها:

. سأصارك بالحقيقة وأعتقد أنك ستصيرين بعدها على خروجي من هنا.

لم تقل شيئاً.. يبدو أن الفضول غلبها وقررت الصمت.. أما أنا فقررت أن أخبرها بالحقيقة دون أن أنظر إلى عينيها.. أدت ظهري لها ونظرت للعائط وقلت:

. لقد شربت من البئر.. لذا أعتقد.. لو أن الأسطورة حقيقية.. سوف أتحول إلى ذئب.

أعتقد أن نظرات الخوف والذعر تتطالقان الآن من عينيها.. فهي تؤمن بأن أسطورة البئر حقيقية.

فإذا كانت تصدقها فلا بد أنها خائفة جداً مني الآن.. وربما ابتعدت عني قليلاً..

أكملت قائلاً بشجاعة:

. لذلك أخشى أن ألتهمك أو على الأقل سوف أ.....

قاطعتني بصوتها العذب الرقيق الناعم:

. بل أنا التي سألتهمك.

ثم أعقبت قولها بصوت عواء عال مفزع للغاية.

(٤)

التفت على الفور إلى الـ....

الذئب!!!

لم أجد أى فتاة.. وجدت ذئبا كان فتاة منذ قليل.

أين اختفت الابتسامة العذبة الرقيقة الجميلة؟ لم أعد أرى سوى ابتسامة شيطانية خبيثة.. أين ذهبت النظرة البريئة الحاملة؟ لم أعد أرى سوى نظرات الجوع والرغبة فى تناول فريسة دسمة.. كيف تحولت الأظافر الناعمة الرقيقة إلى مخالب؟ كيف تحولت الأسنان البيضاء الدقيقة إلى أنياب حادة؟

خرجت من البيت على الفور مستغيثا بأى أحد لينقذنى من هذه الفتاة / الذئب.

أغلقت الباب خلفي بإحكام حتى لا تخرج منه وتفترسنى.. وهرعت إلى البئر وقرأت التعذير ثانية..

" قبل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها ستجعلك ذئب "

عدت إلى المنزل وسألت الفتاة التى أصبحت ذئب:

هل كنت تتوین إتهامى ولهذا اقترحت فكرة المبيت؟

أطلقت عواء طويلا ثم أجابت بصوتها الأنثوي الذى لم يتغير رغم تغير جسدها كله:

نعم.

سألتها وأنا ما زلت واقفا أمام الباب:

هل سأتحول إلى ذئب مثلك؟

لا.

لماذا؟ ألا تقول الأسطورة أن الذى يشرب من البئر سوف يتحول إلى ذئب.

ضحكت بصوت عال وأجابتنى قائلة:

إن هذه الأسطورة زائفة.

اندھشت من قولها وسألتها:

. إذا كانت زائفة.. فكيف تحولت إلى ذئب؟

. هل سمعت عن أسطورة المذءوب؟.. عندما يعضك مذءوب تتحول إلى مذءوب مثله.

. نعم... سمعت عنها.. هل تعنين أنك...؟

لم أستطع إكمال جملتي فقالت:

. نعم.

. ولهذا تعيشين هنا وحدك؟

. نعم.

سألتها بفضول:

. من كتب هذا التحذير على البئر؟

. أنا.

. لماذا؟

. كتيبت حتى يمتد كل من يشرب من البئر أنه سيتحول إلى ذئب فلا يخاف منى حتى أتمكن منه وهكذا أحصل على غذائي طوال الأيام.

. خطة عبقرية أيتها الملعونة حتى تستدرجى بها البشر.. ولكنى سأهدمها.

وهرعت إلى البئر وشرعت أنحت فوق هذه الكلمات لأزيلها.. لكنى لم أستطع إزالتها.. ففكرت فى كتابة جملة (لا تصدقوا هذا التحذير) فوق التحذير نفسه.. وبحثت عن شيء أكتب به أو أنحت به فوق جدار البئر.

ولكن..

قبل أن أجد شيئاً يصلح لهذه المهمة.. فرجئت بتغيرات مخيفة فى جسدى وآلام رهيبه تجتاحنى.. نظرت إلى يدى التى تؤلمنى بشدة.. وجدت الشعر يزداد طولاً عليها.. ويتكاثر بشدة.. ويتحول لونها وشكلها..

لا.. لا أصدق ما أراه..

لقد تحولت يدى إلى قدم ذئب.

ارتجف جسدى كله من هول الفكرة..
لقد أدركت الآن أن الأسطورة حقيقية.

(٥)

ركضت نحو البيت وعندما وصلت له قلت لها:

. لقد كذبتِ على أيتها الملعونة.. إن الأسطورة حقيقية بدليل ما حدث لى
الآن.

جاءنى صوتها من خلف الباب.. كانت تقول:

. نعم إن الأسطورة حقيقية للأسف.. وكنت أنوى أن ألتهمك قبل أن تتحول
إلى ذئب.

. لكنى تحولت الآن.

سمعتها تقول بنبرة حزينة:

. للأسف.. يا لحظى السيب، ضاعت منى وجبة دسمة.

تجاهلت ما قالته وقلت:

. طالما أن الأسطورة حقيقية... إذن أنت شربتِ مثلى من البئر.

. نعم.

. لماذا إذن كتبتِ هذه التحذير؟

. أنا لم أكتبه.. لقد قرأته مثلك لكن بعد فوات الأوان.. بعد أن شربتِ من
البئر.

. ولماذا لم تحاولى إزالته؟

. ولماذا أفضل؟.. أنا أريد تحذير الناس من هذا البئر حتى يظلوا بشرا.. أنا

لا أريد تكوين عشيرة من الذئاب.. بل أريد طعام لى.

. يا لك من مأكرة!

سمعت صوت ضحكة حزينة ثم قالت بمدها:

..نعم.. ماكرة كالذئب.

فتحت لها الباب.. لم أعد خائفا منها الآن.. قلت لها:

لست خائفا منك.. لقد أصبحت ذئبا مثلك.

خرجت لى.. تصير على أقدامها الأربعة بهدوء.. ثم تطلق عواء يتردد صداه

فى المكان.. ثم تسترخى بجوار الباب.

عدت إلى البئر.. جلست بجواره ناظرا إلى قدمى الأماميتين.. أتحمس

بمخالبي كلمات الأسطورة كلمة كلمة..

الشمس لم تغرب بعد لذا رأيت الكلمات واضحة أمامى!

ولكنى كنت قد رأيت الشمس تقرب منذ قليل!.. ألم يكن غروبا؟

قرأت التحذير مرة أخرى..

" قيل أن تشرب أبهرتك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها

ستجعلك....."

ولكن..

كلمة (ذئب) لم تكن موجودة..

كانت هناك كلمة أخرى مكانها.

" قيل أن تشرب أحذرك من هذا البئر لا تشرب من مائه لأنها

ستجعلك....."

".... تهلوس"

وجدت كلمة (تهلوس) بدلا من (ذئب).. أين كلمة ذئب؟

معنى هذا أن هذه المياه تسبب نوعا من الهلوسة.

تلقت حولى.. لم أجد فتاة أو ذئب.. أو حتى بيت.

لم أجد أى شيء على الإطلاق..

الصحراء كما هي.

نظرت إلى يدي وجدتها بحالة جيدة.. خالية من أى شعر كثيف.. بدون أى
مخالب.. أسناني عادية جدا.

إذن فقد بدأ تأثير المياه في نفس الوقت الذي كنت أقرأ فيه التحذير فتخيلت
التحذير كان من شيء آخر تماما.

ومعنى أنني أدرك هذا الآن.. أن مفعول المياه قد انتهى.

ولكن... لماذا يهيا لى وأنا أقود السيارة أنني أسمع صوت عواء يخرج من
فمى وأن المخالب تمسك عجلة القيادة وأنظر إلى وجهى فى مرآة السيارة
الداخلية أرى وجه ذئب!!

هل عادت الهلوسة!؟

أم أنني تحولت بالفعل إلى.....

إلى ذئب.....!!!

(تمت بحمد الله)

نجم شباك

" ما هو سيناريو الفيلم الجديد "

قالها المنتج الكبير وهو يعطى ملفا ضخما للنجم المحبوب (عاصم سلام) صاحب أشهر أفلام الأكشن والإثارة.. والذي يكفى ظهور اسمه على أفيش أى فيلم ليكون سببا فى تحقيقه أعلى الإيرادات فى شباك التذاكر لشهور طويلة.. ولهذا يعتبر أشهر نجم شباك فى الوطن العربى) أشار النجم الكبير بيده نحو مقعد أمامه فجلس المنتج عليه دون تأخر لحظة.

.وما هو موضوع الفيلم؟

تحمس المنتج وقال:

. اسم الفيلم (الشقى يتحدى الجبابرة) .. الفكرة عبقرية.. موضوع جديد تماما.. مؤلف الفيلم شاب وأفكاره طازجة.. أعتقد أن هذا الفيلم سيققق إيرادات هائلة!

. بالتأكد سيحقق إيرادات هائلة طالما أنني البطل.. لنتكلم فى المفيد.. أنت موافق طبعا على شروطى فى العمل؟

تلثم المنتج ولم يجد ما يقوله.. فهذه أول مرة يتعامل فيها مع النجم الكبير.. باغته النجم قائلا:

. مازالت الفرصة أمامك.. لو معترض على شروطى فلتبحث عن ممثل آخر لفيلمك هذا.. وأتحداك إن استطاع أن يحقق نصف الإيرادات التى أحققها.

. كيف تقول هذا؟.. أنا أعارض على شروطك! لا طبعا.. لن يحدث هذا أبدا.. أنا موافق على شروطك كلها.. دون استثناء.. لكن.. أعذرني.. ما هى هذه الشروط؟

زفر (عاصم) وقال:

. حسنا.. سأخبرك بهم.. ما باليد حيلة.. أولا: أنا الذى أختار المخرج.. لا تفرض على مخرجا بعينه.. يمكنك أن تقترح لى أسماء مخرجين وأنا أختار المناسب من بينهم.. سأختار الذى يوافقنى فى الرأى ويتركنى أختار الممثلين حسب رؤيتى وليس رؤيته.. هل فهمت؟

فهمت الشرط الأول وموافق عليه.. مثل باقى الشروط..

الشرط الثانى: لا تجبرنى على التحرك الكثير.. فالأطباء ممنوعون من كثرة الحركة.. لذا سأقوم بالتمثيل وأنا جالس.. أو نائم أو مضطجع على السرير.. أما المشاهد التى تستلزم حركة عنيفة ومطاردات سيقوم بها دوبلير يشبهنى.. أتمنى أن تجدوا دوبليرا أفضل من الدوبلير الذى تعاملت معه آخر مرة فى فيلمى الأخير.. فقد كان نحيفا.. أريد دوبلير ضخم.. ضخم جدا.

تردد المنتج قبل أن يقول:

ولكن يا نجم.. لا بد أن يكون الدوبلير فى نفس حجمك.

ما وجه الاعتراض إذن؟.. نحن متفقين.. لا بد أن يكون الدوبلير ضخما مثلنى.. فأنا ضخم.. ضخم جدا.. ومع ذلك أضع وسائل قطنية صغيرة تحت البدلة أثناء التمثيل لأبدو أضخم.. وأضخم.

حسنا.. أريد أن أسأل.. هل سيقوم الدوبلير بأداء المشاهد الغرامية أيضا؟

انتفض النجم الكبير من مكانه، وقال بغضب:

ماذا؟.. هل أنت حمار؟

ابتلع المنتج الكبير الإهانة، ولم يعلق.. أما النجم فضحك وقال:

أنا أسألك.. هذا مجرد سؤال وليس سبة.. أسألك (هل أنت حمار؟) فتدرد

تقول: لا طبعاً.

أوما المنتج برأسه ليعلمن تفهمه لما قيل.. أما (عاصم) فتابع:

هاه.. هل.. أنت.. حمار؟

وظل صامتا منتظر إجابة المنتج..

لا طبعاً.

عاد النجم الكبير ليريح ظهره على مقعده، وقال:

إذن لماذا تسألنى هذا السؤال؟.. طبعاً سأقوم أنا بأداء المشاهد الغرامية..

هاه أخبرنى كم مشهد بالضبط؟ وهل هى مشاهد عادية أم مشاهد..

أقوال.. كلمتين في كل مشهد.. ومن الأفضل أن يكون أخرس..

لماذا؟

حاول النجم أن يهدأ ويتكلم بصوت منخفض وهو يقول:

أحبالى الصوتية يا عزيزى! حنجرتى! لقد نصحنى الأطباء بقلة الكلام.. وأنت تعلم ما يدور أثناء التصوير من إعادة المشاهد.. لذا سأحاول أن أقتنع المخرج بالأى يكرر تصوير المشهد وليكتفى بمرّة واحدة لكل مشهد وسأحاول أن أتقنه من المرّة الأولى.. لا أحب تكرار الكلام.. أتفهمنى؟.. لا أحب تكرار الكلام.. أما بقية المشاهد لبقية الممثلين أو للدوبلير فليكرر المخرج ما يشاء منها حتى يخرج أفضل ما لديهم من قدرات تمثيلية.. أما أنا فلا أحب تكرار الكلام.. فهمت؟

نعم.. لا تحب تكرار الكلام.

بالضبط.. لا أحب تكرار الكلام.

هل هناك أى شروط أخرى؟ بخلاف الحركة والكلام..

آه.. أذنى حساسة جدا.. وأى ضوضاء تؤذيها.. لا أريد أى ضجيج أثناء العمل.. دعونى أعمل فى صمت.. فالأطباء نصحونى بالابتعاد تماما عن أى ضوضاء.. لكن نداء العمل يا صديقى.. ولا بد أن ألبى النداء..

هل هناك أى شروط أخرى؟

نعم.. أريد أن يكون التصوير فى أماكن مغلقة.

حتى تكون بعيدا عن إزعاج المعجبين والفضوليين.. اطمئن.. لا تقلق من هذه الناحية.

لا.. الأمر ليس كذلك.. الموضوع أن عينى حساستين من ضوء الشمس لذا نصحنى الأطباء بالجلوس دائما فى أماكن مغلقة أو فى الظل.

وهل تستطيع عينيك قراءة السيناريو؟

لا طبعاً.. فهى مجهدّة جدا والأطباء نصحونى بعدم إرهاقها أكثر بالقراءة.. ولسوف أرتدى نظارة سوداء طوال وقت التصوير.. وأعتقد أن المخرج لن يعترض على ذلك.

وكيف سأعرف رأيك في السيناريو إذا لم تقرأه؟

هنا يأتي دور (حسين).

سأله المنتج متعجبا:

من (حسين)؟

ضغط (عاصم) على زرا بجواره على المكتب فظهر بعدها شابا أنيقا.. دخل وحيّاهما ثم وقف ثابتا في انتظار الأوامر.. قال (عاصم) مشيرا نحوه بفخر:

(حسين) سكرتيرى ومدير أعمالى.. وهو الذى سيقرا لى السيناريو

كاملا.

كتم المنتج غيظه ثم سأل:

هل هناك.. أى.. شروط.. أخرى؟

هز النجم الكبير رأسه نقيا وقال:

أعتقد لا.. إن لم تخوننى الذاكرة.. فأنا أعانى من الزهايمر! ربما أكون قد

نسيت شرطا.. على أى حال لو تذكرت شيئا سأتصل بـ...

صاح المنتج مندهشا:

(زهايمر)!

قال النجم الكبير بهدوء:

نعم.. أنسى كثيرا جدا.

وكيف ستحفظ الجمل والعبارات الطويلة التى ستقولها فى مشاهدك؟

لا تقلق من هذه الناحية.. سأضع سماعة فى أذنى.. لن يلاحظها أحد..

(وحسين) سيقف بعيدا يقرأ لى الجمل التى سأقولها.. تماما مثل الملتن على

المسرح!

ولكن..

ضحك النجم وقال:

لا تقلق.. هذه ليست أول مرة.. أتذكر فيلمى الأخير (الشقى يتحدى

البركان)؟.. كان (حسين) يساعدنى طوال التصوير.. حتى أنه مرض فى أحد

الأيام فكان يقرأ لى من سريره فى شقته .

ثم اعتدل فى جاسته وأكمل:

. ثم إننا اتفقنا الآن أن نقلل الحوار الخاص بالبطل.. أليس كذلك؟

هز المنهج رأسه قائلاً:

. نعم.. نعم.. سنحاول تقليله.

. والآن.. نتكلم فى أهم شيء.. أجرى.. أنت بالتأكيد تعلم جيداً أن فوامى

الأخير قد حقق إيرادات هائلة وظل فى السينما لشهور طويلة.. لذا أعتقد أننى

لا أكون طماعاً إذا طلبت مضاعفة أجرى!

(تمت بحمد الله)

وردة

كانت (شاهيناز) جالسة في كافيتريا الكلية.. تشرب عصيرها المعتاد..
تقرأ في كتاب استعارته من المكتبة.

هرعت إليها.. لمحتني فابتسمت.. طرت من الفرحه بسبب ابتسامتها
الساحرة.. تلك الابتسامه خير دليل على سعادتها لرؤيتي.

جلست على المقعد بجوارها و..

كل سنة وأنت طيبة.

وأعطيته وردة حمراء في منتهى الجمال، ما أروعها!

شعرت في تلك اللحظة أنني أهدى هذه الوردة لأجمل وردة في حياتي.. بل
في الكون كله!

يا إلهي! كيف عرفت أن اليوم هو عيد ميلادي؟

لا يمكن أن أنسى أبدا يوم كهذا.

قالت (شكرا جدا) بالفرنسية.. ثم أكملت بأروع جملة سمعتها اليوم.. بل
في هذا العام.. بل في عمري كله:

أنت رقيق جدا.

ثم صدمتني بعدها بلحظة عندما قالت:

انظر.. (عز) أهداني هذه.

وأشارت إلى سلسلة ذهبية طويلة تطوق عنقها الجميل يتوسطها قلب
ذهبي.

ما رأيك؟.. أعتقد أنها كلفته كثير من المال.

شعرت بالخجل الشديد وأنا أتأمل السلسلة الثمينة وأقارنها بهديتي
المتواضعة.. الوردة!

لاحظت نظراتي الطويلة نحو السلسلة فشعرت بالحياء فخلعت السلسلة
وأعطتها لي لأتأملها بدلا من تأملها وهي على صدرها!

تأملت السلسلة بين أصابعي ويبدو أنها فهمت ما يدور بخلدني فحاولت أن
تجاملني:

. على فكرة.. أنا أرى أن الوردة أفضل من السلسلة.. الوردة تحمل معاني كثيرة.. معاني جميلة.. مشاعر مرهفة.. أما السلسلة فتعبر عن سطوة المال.. والذي يفكر في إهداء وردة لصديقتة فهو إنسان مرهف الحس رومانسى رقيق حاله.. أما الذى يهدى صديقتة سلسلة ثمينة كهذه فهو يفكر بلغة المال.. مادى.. يعتقد أنه يستطيع شراء أى شىء بماله.

ظللت صامتا.. لم أقتنع بما قالته لكن أعجبنى محاولاتها البائسة لجمالتي..
تأبعت:

أتعلم.. نحن معشر البنات نحب الوردة أكثر من السلسلة!

ابتسمت لجمالها الأخيرة.. ورحنا نتحدث فى أمور شتى بعيدا عن الوردة والسلسلة ومعانى الهدايا.. ومر الوقت سريعا.. لم نشعر به.. حتى نظرت لساعتها فجأة ثم انزعجت:

يا الهى! الوقت مر بسرعة.. فلنكمل حديثنا فى وقت لاحق.. مضطرة الآن للانصراف.. فقد حان موعد المحاضرة.. سلام.

حملت كتبها وانصرفت.. بعد ثانية واحدة عادت وقالت:

السلسلة!

انتبهت فى تلك اللحظة أن السلسلة لا تزال فى يدي ألعب بها.. فأعطيها لها على الفور.. أخذتها منى وارتدتها.. وقالت:

. إلى اللقاء.

. إلى اللقاء.

وانصرفت..

نظرت إلى المنضدة أمامى أتأمل هديتى المتواضعة..

لقد تذكرت السلسلة ونسيت أن تأخذ الـ..

وردة!

(تمت بحمد الله)

نصف جسد

إفلام..

أحاول أن أفتح عيني..

أين أنا؟

الرؤية غير واضحة.. أفتح عيني بصعوبة شديدة كأنها كانت مغلقة منذ زمن..

لا أستطيع التحرك.. كأنني مشلول.

أين أنا؟

هل مت؟ هل أنا داخل قبر؟ ولكن القبر لا يكون مضيئًا هكذا..

أرى السقف مدهونا بلون أبيض.. هناك مروحة.. بل أكثر من مروحة.. الحوائط صفراء.. أحاول أن أدير رأسي لأرى أكثر.

هناك تليفزيون معلق على الحائط.. لا يعرض أى شيء.. لا بد أنه مغلقة.

هناك سرير حديدي على يميني.. ومقاعد.. كومود عليه أدوية.

التخمين صار سهلاً.. أنا داخل عيادة.. أو مستشفى على الأرجح نظراً لكبر حجم الغرفة.

حاولت أن أحرك جسدي..

لا فائدة.. لم أستطع تحريكه بوصة واحدة كأنني موضوع داخل جيبس.. ما الذى حدث لي؟

أه.. تذكرت.

تذكرت الحادث.

كنت أفود سيارتي على الطريق السريع وكانت هناك سيارة نقل كبيرة متجهة نحوي.. كان الطريق خالياً تماماً لكن سائقها مصمم على المضي في نفس اتجاهي.

حاولت تنبيهه أكثر من مرة مستخدماً آلة التنبيه بسيارتي.. لكنه لم يغير

مساره.

أدركت أنه سوف يصدمني.. لا مفر.

حاولت الاتجاه نحو اليسار وخالفت قواعد المرور لأتفادي الاصطدام.. لا يوجد هنا شرطى مرور ليحجر لى مخالفة.. وفى مثل هذا الظرف لدى عذر قوى.. غريزة البقاء والفرار من الموت.

فوجئت بالسائق العنيد يغير مساره ويتجه نحوى مرة أخرى.. أى أنه الآن قد عاد إلى صوابه وسار فى الاتجاه الصحيح بينما أنا المخالف.

عدت إلى الاتجاه الصحيح.. على يمين الطريق.. وحمدت الله على انتهاء هذه المسألة.. لو استطعت أن ألح رقم سيارته سيكون شيئاً جميلاً.

لكنى.. فوجئت به يعود مرة أخرى إلى يساره.

هذا السائق إما أنه يريد قتلى أو.. أنه مخمور.

حاولت تذكر أعدائى.. من منهم يريد قتلى؟

النتيجة: صفر.. لأنه ليس لدى أعداء أصلاً.

لا أعتقد أن المقالب التى أصنعها لزملائى وأصدقائى وجيرانى قد تصنع أى عداوة.. إنها مقالب فى النهاية.. مزاح ثقيل.

عندما رأيت السيارة تعود مرة أخرى إلى المسار الصحيح.. أدركت أن سائقها مخمور..

أو ربما يكون نائماً..

المهم.. إنه لا يريد قتلى بالتأكيد.

فكرت أنه سوف يجتازنى ويصبح كل منا فى طريق.. ويصير ما حدث حكاية طريفة يوماً ما سوف أحكيها لأولادى الذين لم يأتوا بعد إلى الحياة.

استخدمت آلة التنبية مجدداً.. لأوقف ذلك السائق المتهور.. ربما كان نائماً.

فوجئت به يعود مرة أخرى إلى نفس مسارى.. ليتنى ما أيقظته!

ربما لا يكون نائماً.. ربما يمازحنى.. هل هو يعرفنى؟

ولكن.. هل يكون المزاح باصطدام السيارات؟
 إن المسافة بيننا تقترب جدا.. الاصطدام وشيك.. ماذا أفضل؟
 هذا ليس مزاحا بالتأكيد.
 لو غيرت اتجاهي ربما يغير اتجاهه في نفس اللحظة ليتفاداني..
 فنصطدم.

لو ظللت كما أنا.. سوف يصدمني.
 اقتربت السيارة كثيرا.. واقتربت.. واقتربت.. ما الممل؟
 لا.. لا أريد أن أموت.

وفكرت بسرعة وقررت أن أفضل قرار هو أن أترك له الطريق المرصوف
 تماما.. سواء كان يريد اليمين أو اليسار.

وانحرفت بزاوية كبيرة عن الطريق وسرت على الطريق الترابي.. فوجئت
 بأن الطريق ضيقا جدا.. طارت السيارة في الهواء.. ثم سقطت وانقلبت أكثر
 من مرة..

شعرت بالآلام شديدة في جميع أجزاء جسدي.. ثم سمعت صوت ضجة عالية
 جدا.. ورأيت الدخان الكثيف وألسنة اللهب تتصاعد إلى السماء.. لا بد أن
 السيارة الأخرى قد انقلبت وهذه نار احتراقها.

حاولت الخروج من السيارة.. ربما تشتعل سيارتي هي الأخرى..
 جسدي خائر القوى.. لا أستطيع الخروج.. أشعر أنني سأفقد وعيي..
 لو فقدت وعيي الآن.. سأموت.
 إظلام.

دخل صديقي (محب) الغرفة وقال مبتسما:
 .. حمد لله على السلامة يا (هشام).. متى استعدت وعيك؟
 سأنته على الفور:

. أين أنا؟

. فى المستشفى.

. ما الذى حدث؟

سألنى وعلى وجهه نظرة حزينة:

. ألا تتذكر شيئاً؟

. كانت هناك سيارة نقل كبيرة أتية نحوى.. انقلبت سيارتى أكثر من مرة..

وخمنت أنتى سأفقد الوعى وأموت.

ابتسم (محب) ابتسامة باهتة.. ابتسامة مليئة بالحزن.. وقال:

. لا.. لم تمت يا صديقى.. لقد نجوت بأعجوبة.

. كيف؟

. نيران السيارة الأخرى جذبت الانتباه.. جاءت سيارات بسرعة إلى موقع

الحادث.. وهناك لمحوا سيارتك وأنقذك على الفور.. أولاد الحلال نقلوك إلى

المستشفى واتصلوا بى.. اسمى كان مدونا على هاتفك المحمول كأخر اسم فى

قائمة المكالمات.

تذكرت آخر اتصال لى.. لقد اتصلت به فى العمل لأخبره أن منزله قد

سُرق.. كانت دعاية أخرى من دعاياتى الثقيلة.. و(محب) دائماً يصدقنى ويقع

فى الفخ.

(محب) صديق وفى.. رغم ما أفعله به إلا أنه هرع على الفور وترك كل

شئ ليكون بجوارى.

سألته باهتمام:

. سائق السيارة الأخرى.. هل هو...؟

. مات.

ثم رأيت يمسك بجريدة كانت على السرير.. لم أستطع رؤيتها فى البداية..

قال لى:

. لقد كتبت الجرائد عن الحادث.

سألته متعجبا:

. منذ متى وأنا هنا؟ متى وقع الحادث؟

فتح (محب) الجريدة حتى وصل إلى صفحة الحوادث.. ثم تلى الجريدة ليقلل حجمها وأراني الخبر.. رأيت الصورة الملحقة به.. كانت للسيارة إياها.. ولكنها مشتعلة تماما.. نظرت إلى تاريخ الجريدة.. وقرأت تفاصيل الخبر.

قال لي:

. إحمد الله على كل شيء.. لقد كانت السيارة تحمل كمية كبيرة جدا من سائل قابل للاشتعال.. لو أنك اصطدمت بها لكنت في خطر كان.

. هل عرفتم السائق؟

. نعم.

. هل بينى وبينه سابق معرفة؟ لماذا أراد قتلي؟

. لم يكن يريد يرد قتلك.. التحريات الأولية تقول أنه كان يعاني من مشاكل أسرية واقتصادية شديدة.. ربما كان مخمورا.. شرب الكثير من الخمر لينسى هذه المشاكل.. لكن لا أحد يقود سيارة وهو مخمورا.. هذه طريقة مثالية للانتحار.. أو ربما كان نائما لأنه لم يجد في بيته الراحة التامة أو النوم الهادئ الهانئ.. أو ربما كان يعمل كثيرا ليوفر مالا أكثر.. وهكذا احتاج جسده المنهك إلى النوم.. على أي حال سنعرف كل شيء قريبا عندما ينتهي التحقيق.. المهم أنك خرجت حيا من هذا الحادث.. احمد ربنا.

سألته بضيق:

. لكنى لا أستطيع تحريك جسدى.

ظهر الضيق على وجهه ثم قال بارتباك:

. ألم يخبرك أحدا بعد؟

قلت بذعر:

. يخبرونى بماذا؟

قال صديقى وهو يشيح بوجهه بعيدا عنى:

. لماذا لم يخبرونك؟.. لم أكن أريد أن أكون الشخص الذى تعرف منه هذا

الخبر .

. أى خبر؟

صمت (محب) .. فأثار قلقي فقلت:

. ما الأمر؟ أخبرني.

. لا أستطيع.

. أخبرني يا (محب) .. لا تصمت هكذا.

بعد كثير من الإلحاح .. قال:

. هناك خبر سيء.

. بكثير من القلق سألته:

. ما هو؟

تنهد وقال:

. قبل أن أخبرك به .. لا بد أن تحمد الله على أنك لازلت حيا.

. الحمد لله.

. ويجب أن تعلم أن نعمة الحياة نعمة كبيرة جدا.. يجب الحفاظ عليها..

مهما حدث لنا.

. أخبرني أرجوك.. ما الذى حدث؟

. ونعمة الحياة واحدة من نعم كثيرة جدا منحها الله لنا.. إن البصر نعمة..

والتحدث نعمة.. والتنفس نعمة.. وال..

قاطعتني قائلا.. وقد بلغ القلق مراحل لم أصلها من قبل فى حياتي:

. لماذا هذه المقدمة؟ أخبرني ما الذى حدث.

صمت (محب) لثوان معدودة قبل أن يقول:

. جسدي لم يعد كما كان قبل الحادث.

سمعت ما قاله (محب) فشعرت أنني أسقط فى بئر عميقة تمتد لكيلومترات

تحت سطح الأرض.. سألته بمنتهى القلق:

ما الذى حدث؟

فتح حقيبة بجواره على الأرض.. لا أستطيع أن أراها من هذه الزاوية..
أخرج كاميرا فيديو.. أعرف هذه الكاميرا جيدا فهي التى يحملها معه كثيرا
فهو مصور أفراح ومناسبات.. قام بتوصيل الكاميرا بالتلفزيون المعلق على
الحائط.. ثم ضغط بعض الأزرار فى الكاميرا ثم بعض أزرار فى التلفزيون..
سألته:

ما الذى تفعله؟.. أخبرنى ما الذى حدث لجسدى.

اهدا يا (هشام).. ستعرف كل شيء الآن.

أرجوك أخبرنى بسرعة.

انتهى من عمله وقال:

سوف ترى جسدك على هذه الشاشة الآن.. لأننى أعلم أنك لا تستطيع رؤية
جسدك.. فأنت لا تزال تحت تأثير البنج.

بنج!

نعم.. كان لابد من تخديرك حتى يقوموا بإجراء العمليات المطلوبة.

عمليات!

نعم.. الحادث قد أثر على ساقيك بصورة شنيعة فرأى الأطباء أنه من
الضرورى به..

ولم يستطع إكمال جملته.. وراح يمسح عينيه.. هل هذه دموع؟ سألته
بانزعاج شديد:

به.. ماذا؟

فأكمل قائلا:

بترها.

صعقت من الكلمة وشعرت أنتى أسقط عشرات الكيلو مترات فى البئر
السحيقة.

ضغط (محب) على زر بالكاميرا فظهرت صورة لساقى مربوطتين بالشاش..

ماذا؟

انظر.

نظرت إلى شاشة التليفزيون فرأيت الكاميرا تتجه نحو ذراعى اليمنى وتصوره.. لا أجد شيئاً.. لا أرى ذراعى.. المفروض أن أراه.. لا أجد شيئاً.. ثم فجأة ظهر كتمى وجزء صغيراً يخرج منه.. صرخت بهلع:

ماذا؟ ما هذا؟

قال (محب) وهو يمسح دموعه ولا يريد أن يرى وجهه:
كان لابد من بتره.

شعرت أنني أسقط مئات الكيلو مترات فى البئر السحيقة وأنا أقول:
ماذا؟

كان هذا ضرورى إنقاذاً لحياتك.. لو ظل هكذا بما حدث له كنت ستموت.

صرخت بكل حزن الدنيا:

كنتم أتركونى أموت.. لا أستطيع العيش هكذا.

لا تقل هذا يا صديقى.

لا.. لا.. ذراعى.

اهدأ.. أرجوك.

ليتكم تركتمونى أموت.. لا أريد الحياة.

لا تقل هكذا يا رجل.

أقتلنى يا (محب).. لا أريد أن أعيش بنصف جسد.. ضع تلك الوسادة على رأسى وأرحنى.. لن أصرخ.. ولن أقاومك.. لا أستطيع أن أقاومك أصلاً.. حتى ذراعى اليسرى السليمة لا أستطيع مقاومتك بها.

قال صديقى وهو ينظر إلى الشاشة:

ولكنها ليست...!

ماذا؟

تردد قليلا قبل أن يقول:

.لقد اضطر الأطباء إلى.. انظر.

نظرت إلى شاشة التلفزيون.. ورأيت ما تنقله الكاميرا.. أين ذراعي اليسرى؟ أين؟

سمعت نغمة هاتف محمول في المكان.. أخرج (محب) هاتفه من جيبه ورأى اسم المتصل.. فقال مرتبكا:

.ثوان.. مكالمة مهمة.. وسأعود لك سريرا.. لا تقلق.

ثم ضغط على زر في الكاميرا ليطلقها ليخرج بسرعة من الغرفة ليرد على المكالمة.. قلت له متوسلا:

.عُد بسرعة يا (محب).. لا أريد أن أكون وحيدا.

لم يسمعني.. لقد صرت وحيدا في هذه الغرفة الكئيبة.. لينته يعود ليريدني من هذه الدنيا.

تلقت حولى.. رأيت شاشة التلفزيون لا تزال تعرض صورة كتفى اليسرى.. الذى لا يخرج منه أى شيء.. ما هذا العذاب!

لماذا لم يفلق (محب) انكاميرا؟

يبدو أن الصورة قد توقفت على الشاشة كما حدث من قبل.. ذلك العطل اللعين!

الكاميرا على الأرض فكيف تعرض صورة كتفى اليسرى؟.. لا بد أن هذا التلفزيون به عطل يجعل آخر صورة ثابتة لا تتحرك.

لكن.. الصورة تحركت!

وراحت تعرض ساقاي من جديدا يا لعذابي!

كيف سأعيش هكذا؟

لا أريد الحياة.. لا أريدها.

يبدو أن الكاميرا بها عطل يجعلها تعيد ما صورته من قبل.

ثم ظهرت على الشاشة صورة للسرير الذى أجلس عليه.. هذه الصورة لم

أرهما من قبيل.

ثم اتجهت الكاميرا إلى صدرى.. رقيبتي..

ثم ستتجه نحو وجهى..

يا إلهى! متى صور (محب) كل هذا؟

أتمنى أن أجد وجهها.. ولم يزيلوه هو الآخر!

ما هذا؟

أين وجهى؟

فكرت قليلا.. هذا وجه رجل آخر.. ليس أنا! ما الذى حدث؟

ثم ظهر الحائط على الشاشة.. لونه لبنى.. الحوائط هنا لونها صفراء.

ثم ظهر على الشاشة وجه طبيب يتحدث إلى بالإنجليزية.

ما الذى يحدث؟

ثم فتح الباب.. ودخل (محب) وهو يضع هاتفه المحمول فى جيبه وينظر إلى:

. هل تأخرت عليك؟

نظرت إليه ونظرت إلى الشاشة وقلت:

. ما هذا؟

نظر إلى الشاشة وقال منزعجا:

. يا إلهى! ألم أغلق الكاميرا؟

واندفع نحو الكاميرا وحملها مرتبكا.. قلت له:

. (محب).. هذه الكاميرا كانت تصور رجلا آخر!

ضحك (محب) وقال:

. وضحكت عليك!

. ماذا تعنى؟

. كنت أرد لك واحدا من مقابلك التى تفعلها معى!

هل تعنى أن ساقاى لم...؟

. أنت سليم تماما .. بعض الكدمات والإصابات العادية .. وستعود لطبيعتك
بقليل من العلاج الطبيعى .. لكنك لم تخسر أى جزء من أجزاء جسدك .. ما
رأيته كان شريط فيديو مصور لشخص آخر .. ربنا يعافينا ويعافيك .. هاه .. ما
رأيك فى هذا المقلب؟ أنت صدقته .. صح؟ كنت أريدك أن ترى وجهك عندما
خدعتك .. لقد فعلت هذا لتحرم صنع المقالب فى الناس ومنهم أنا.

حاولت النهوض وأنا أقول بغضب هائل:

. كل هذا كان خدعة!

لم أستطع النهوض .. مازلت أشعر أن جسدى مشلولا .. متى أتخلص من هذا
الجبس؟ قلت له متوعدا:

. سأقتلك .. أقسم أنى سأقتلك.

حمل (محب) الكاميرا وأزال السلوك الموصلة بالتليفزيون وقال:

. حسنا .. سأخرج الآن قبل أن تستطيع التحرك.

. سأقتلك يا (محب) .. هذا وعدا .. أنا لأأمزح.

. هذا كان مقلب يا صديقى! لماذا لا تصنع يوحى الألعاب وتضحك كما كنت

تفعل عندما تقوم بصنع المقالب فينا؟ هل حرمت الآن؟

وبالفعل .. منذ ذلك اليوم .. لم أعد أصنع مقالب فى أحدا أبدا.

ولم أرى (محب) بعد ذلك اليوم .. يبدو أن أصدقائى قد أخبروه أننى لو

رأيته يوما سوف أقتله ..

لو أردتم رأيي .. إنهم لم يكذبوا عليه.

(تمت بحمد الله)

أشواق (١)

كيف تقتل زوجتك دون أن تجرح مشاعرها؟

أشواق:

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم
أماناً من وجودها بالمنزل

١. الحب الأسود

أشرفت الشمس.. وتسللت أشعتها الذهبية الدافئة من خلال النافذة..
وسمعت تغريد المصافير فوق الأغصان.. وشممت رائحة الورد في الجو
فشعرت بطاقة إيجابية قوية لبداية يوم جميل كهذا.. ثم سمعت أغنية تنبعث
من راديو الجيران (صباح الخير يا اللي معانا.. الكروان غنى وصحانا)..
التفت إلى زوجتي التي كانت تغط في نومها بجوارى على السرير، وقلت لها
بصوت هامس حتى لا أوقظها:
. أشوف فيكى يوم يا ظالمة.

فكرت في طرق عديدة للتخلص من زوجتي.. لم يكن الطلاق من بينها.

فالطلاق سوف يبعتها عنى دون أن أحصل منها على مليم واحد..
والمفروض أن أستلم جائزة كبيرة على تحملى لها كل تلك السنين الماضية..
الطلاق سيجملنى أدفع لها بدلا من أن تدفع لى.. وسوف أعيش حياة ضنك
مريرة حتى أسدد لها نفقاتها مع تقسيط مؤخر الصداق على أشهر طويلة
جدا.. الطلاق ليس حلا بالتأكد.

موتها هو السبيل الوحيد لنهاية سعيدة.

ثم أرئتها بعد ذلك.. وسأعتبر ذلك الميراث مكافأة نهاية خدمة.. أو نهاية
مدة العقوبة.. ثم أحصل على مبلغ التأمين الكبير.. وأعيش بعدها ثريا أعوض
سنين العذاب التي عشتها معها..

كنت أتمنى موتها بطريقة طبيعية..

ظللت أدعو عليها بالموت ليلا ونهارا.. ولكن دعائى لم يستجاب..

كنت أتمنى موتها بأقصى سرعة.. لا أريدها أن تموت بعدى.. فى هذه
الحالة لن أستفيد شيئا.

جريت سكة السحرة والذجالين.. أذهب إليهم وأحضر لهم ما يطلبونه حتى
لو طلبوا لبن الديناصور.. المهم أن يتم المراد بأقصى سرعة.. لكن النتيجة كانت
واحدة مع الجميع.. أعود دائما للبيت وأجدها فى انتظارى بوجهها الكئيب.. لم

تمت بعد.. رغم كيد السحرة والدجالين.

كان آخرهم ذلك الدجال الشهير (زعبلاوى) الذى أكد لى أنه سوف يصنع من منديلها المستعمل الذى أعطيته له (عملاً) لا يخيب أبدا.. كنت مطمئن للغاية فشهرته فى صنع (الأعمال) بلغت مشارق البلاد ومغاربها.

أكد لى أنى سأعود للبيت فأجدها جثة هامدة.. لا أعرف ما الذى يعنيه بـ (جثة هامدة) بالضبط فلقد وجدتها بكامل الحيوية والنشاط.. تلمب باليه مائى فى طشت الغسيل.. وفى الصباح علمت أن (زعبلاوى) قد مات.. ربما استعمل منديله بدلا من منديلها.

بعد فترة.. لم أعد أذهب إلى السحرة والدجالين.. لقد فقدت الأمل فى أساليبهم العجيبة.. وقررت أن أتخلص منها بنفسى.. لكن كيف؟

كيف أقتل زوجتى؟

أولا: أريد أن أقتلها دون أن يعلم أحد أنى قتلتها أو يشك أنى الفاعل.. لذا لا بد أن أظهر للناس حبى وتعلقى الشديد بها.. ثم أبكى بشدة عليها بعد موتها.

ثانيا: أريد أن أقتلها فى وقت أكون فيه بعيد تماما عن مسرح الجريمة.. بمعنى: أريد قتلها دون أن أكون بجوارها لحظة القتل.

ثالثا: أريد أن أقتلها بطريقة تجعل الناس تظن أنها ماتت بصورة طبيعية.. أو حادث لا دخل لى به.. حتى لا يعتبرها أحدا أنها جريمة قتل ثم يبدأ فى البحث عن الجانى وسيكون المتهم الأول هو المستفيد من الجريمة.. والدوافع ستبدو كثيرة أمام المحققين.

رابعا: أريد أن أقتلها دون إراقة نقطة دم واحدة لأنى أخاف جدا من رؤية الدم.. مع أنى أشك فى امتلاكها بعضا منه.. أعتقد أن دمها قد تحول إلى ماء منذ زمن بعيد.. أو إلى جاز.. احتمال وارد جدا.

خامسا: أريد أن أقتلها دون أن أترك ورائى أى دليل ضدى.. حتى أستطيع الحصول على الميراث ومبلغ التأمين.

سادسا: أريد أن أقتلها دون أن أرى وجهها لحظة الموت.. أو بعدها.. أنا لا أطيق وجهها وهى حية ترزق.. فكيف أطيعه وهى ميتة؟
 باختصار شديد: كيف أقتلها دون أن أقوم بقتلها؟

تظاهرت أمام الجيران أنى أحبها جدا.. أخرج معها ميتسا أمام الكل.. تسير متأبطة ذراعى.. يرانا الجميع سعداء.. وربما أقبلها فى إحدى المناسبات النادرة لأثبت للجميع أنى أموت عشقا فى هواها.

بينما أنا أموت بالفعل من العيش معها.. كنت أقول لها أمام الناس (يا جوهرتى الثمينة) وفى البيت (يا بقرتى السمينة)..
 أمام الناس أدعولها وعندما نكون وحدنا أدعوعليها.

وكلما كرهتها أكثر.. تظاهرت بحبها أكثر وأكثر.. وزادت رغبتى فى التخلص منها أكثر وأكثر.

فكرت فى قتلها كثيرا جدا.. ولكنى كنت أتراجع فى اللحظة الأخيرة.. كنت أخشى أن يتهمنى أحد فى قتلها وأنا أخاف جدا من السجن.. وأخاف أكثر من عقوبة الإعدام.. أنا أريد أن أعيش حياتى بعد موتها.. لا أموت بسببه.

لابد أن أضع خطة محكمة حتى لا أؤرط نفسى وأجد حبل المشنقة فى انتظارى.

كانت البغيضة تجعل حياتى كالجحيم يوما بعد يوم.. وتجعلنى أكرهها كل يوم أكثر من اليوم الذى سبقه... جعلتنى أكره الحياة.. أكره نفسى.. حتى بدت لى فكرة الانتحار فكرة جيدة طالما أننى لم أستطع قتلها.

حتى جاء اليوم الجميل..

يوم النهاية..

اليوم الذى تخلصت فيه منها.

٢. الكشرى القاتل

فى ذلك اليوم الجميل.. الذى أتذكره دائما حتى أشعر بالسعادة.. كنا نأكل كشرى على الغداء.. (كشرى مصرى).. كانت قد صنعتها بنفسها.. وكان سيئا كالعادة.

كنت قد تعودت على طعمه الرديء.. فهى لا تجيد الطهى.. ولا تحاول تحسين أسلوبها الفريد.. كنت أتناول غدائى على مضض.. مجبر أخاك لا بطل.. فإما الجوع أو أضيع مالى على وجبات المطاعم.. لذا كنت أضطر لتناول ما تطهيه.. ما باليد حيلة!

لكنها فى تلك الساعة قامت بعمل شئ مفرز على المائدة. لا داعى من ذكره لكم. جعلنى أقوم ولم تعد لى رغبة فى إكمال الغداء.. ثم سمعنا فجأة صراخ شديد من الخارج.. فقالت لى بصوتها الجمهورى:

. انظر.. واعرف ماذا حدث.. ما سبب هذه الضجة؟

ذهبت متكاسلا إلى الباب وخرجت لأسأل الجيران فقال لى أحدهم:

. حالة تسمم غذائى.

. كيف؟

. هل تعرف محل (كشرى ولاد العم)؟

. نعم.

. الكثير أكلوا منه اليوم فأصيبوا بالتسمم.. ومنهم من مات.

قلت لنفسى (لماذا مات هؤلاء ولم تمت زوجتى؟ ليتها أكلت اليوم من كشرى ولاد العم).. سألت جارى العزيز باهتمام:

. هل المحل مفتوح الآن؟

كنت أتمنى أن يقول (نعم) فأذهب على الفور لشراء علبة من أكبر حجم عندهم أو علبتين أو ثلاثة لزوجتى فأنا أعلم أنها تعشق الكشرى.. وطبعاً لن أخبرها بمسألة التسمم حتى لا أفسد شهيتها قبل أن تموت..

لكنه للأسف أجاب:

..لا.. لقد أغلقوه.. وتم القبض على صاحب المحل وجميع العاملين به للتحقيق معهم.. المشكلة أن عمارتنا بها أكثر نسبة من المصابين.. أستر يا رب.
وتركنى ليساعد الآخرين في نقل المصابين بالتسمم.
دخلت الشقة حزينا لهذا الحظ السيء.. أحسد الأزواج الآخرين الذين تخلصوا من زوجاتهم ولم يكلفهم هذا سوى بضع جنيهات ثمن علبة الكشري..

سألتنى الكريهة:

ماذا هناك؟

لم أخبرها الحقيقة.. قلت لها:

يبدو أنه شجار بين بعض الرجال في الشارع.

استكملت تناول طعامها دون أن تشك في كذبي عليها..

أما أنا فقد ذهبت إلى المطبخ لتنفيذ الفكرة الذكية التي خطرت ببالي.

زوجتى لم تأكل اليوم من (كشري ولاد العم).. لكن من الذى يعلم هذه المعلومة؟؟

مددت يدي تحت النعيلة في المطبخ.. كنت أبحث عن شيء ما.. وسعدت جدا عندما وجدته..

كانت عبوة سم الفئران.

لقد اشتريت هذه العبوة منذ زمن لأضع القليل منه على طعام زوجتى.. لكنى لم أجرؤ على الفعل لأنى كنت أخشى اتهامى بتسميمها.

الآن توجد حالات تسمم من الكشري والمتهم: صاحب المطعم والطباخين والعمال.. وزوجتى أكلت كشرى.. وربما لا يستطيعوا التفريق بين حالتها والحالات الأخرى.

بحثت عن علبة بلاستيكية فارغة تحمل شعار محل (كشري ولاد العم).. أعلم أن لدينا واحدة أو اثنتان.. أين؟ أين؟

فرحت عندما وجدتها.. كنت أضع بها بعض من (زهرة الفسيل).. أفرغت
محتوياتها على الفور.. ثم تركتها في مكان أمين..
سأعود لاستخدامها بعد قليل.

ذهبت إلى الشريرة وأنا أحمل عبوة سم الفئران في يدي.. ثم قلت لها
ناظرا الأعلى:

. هل ترين العصفورة؟

نظرت في الاتجاه الذي أشرت إليه.. انطلت عليها الحيلة القديمة.. فانتهزت
الفرصة ووضعت قليل من سم الفئران في الطبق ثم قلبت الطعام بالملقعة.
صاحت وهي تدفعني بقوة في بطني:

. ماذا تفعل؟ هذا طيبى.

ارتطمت بالجدار من قوة الدفع.. خبأت السم في جيبي حتى لا تتبته له..
وعدت للمطبخ.

كنت أعلم أنها تتضايق جدا من اشتراك أحد معها في نفس الطبق.. وأعلم
أيضا أنها تفضب بشدة إذا قاطعها أحد أثناء تناولها الطعام.. لذا لم يكن رد
فعلها غريبا بالنسبة لى.

نظرت إليها من المطبخ.. كانت تتناول طعامها في نهم شديد كأن هذه
هى وجبتها الأخيرة.. ثم تذكرت أنها وجبتها الأخيرة بالفعل.. ولكنها لا تعلم
ذلك.

وفجأة.. توقفت عن الأكل ونظرت إلى الطبق.. يبدو أنها شعرت بشيء..

نظرت لى ثم رفعت الطبق ناحيتى وقالت بابتسامة مقيئة:

. هل تريد أن تأكل؟

بقايا طعام كانت تتساقط من فمها نحو الطبق.. قلت على الفور مبتسما

ببلاهة:

. لا.. لا.. أنا شعيت.. لا أستطيع وضع ملقعة أخرى.

غرزت ملقعتها في الطبق وهى تضحك قائلة:

. وهل تمتد أنى كنت سأعطيك منه؟

ثم أنهت ما بالطبق، حتى صار نظيفا تماما..

فجأة رأيتها تتلوى.. تمسك ببطنها وتصرخ من الألم.. يبدو أن تأثير السم قد بدأ.

تركتها تحتضر وأحضرت العلبة البلاستيكية التي تخص (كشرى ولاد العم) وغسلتها بعناية من آثار (زهرة الفسيل) فأصبحت العلبة نظيفة تماما.. قمت بوضع بعض الكشرى من طبقي فيها.. ثم قلبته بالمعلقة في العلبة.. حتى أترك آثار الكشرى بها.

هكذا تبدو العلبة جديدة أمام الجميع.. وكأنى اشتريتها اليوم من المحل قبل إغلاقه.. وكان بها كشرى.

ثم أفرغت الكشرى منها حتى لا يقوم أحد بفحص عينة منه.. وسوف أقول أن زوجتى التهمت ما كان بالعلبة بأكمله قبل أن تشعر بالألم الشديد.

ثم أفرغت محتويات طبقي والأوانى والحلل في سلة المهملات.. وقمت بفلسها جميعا.. حتى لا يعلم أحد أن الكشرى كان مصنوع في المنزل.

ثم عدت إلى زوجتى.. وجدتها جثة هامدة على الأرض.

تحقق الحلم الجميل أخيرا!!!!

شعرت بسعادة غامرة.. كنت أريد الرقص من الفرح لكن ورائى أعمال كثيرة يجب أن أقوم بها حتى لا تفشل الخطة.

قمت برفعها من الخلف.. من ناحية ظهرها.. لم أرد النظر إلى وجهها.. تعبت كثيرا حتى استطعت حمل جسدها الثقيل وأجلستها على المقعد أمام المائدة.. ثم وضعت العلبة أمامها بدلا من طبقها.. ثم غسلته..

مسرح الجريمة جاهز تماما..

خرجت لأصيح بصوت عال أمام الجيران:

. انقذونى.. انقذوا زوجتى العزيزة قبل فوات الأوان.. لقد أكلت كشرى أيضا.

شعرت في تلك اللحظة أنتى نفذت الجريمة الكاملة.

٣- الحياة تنتظرني غدا

تم اعتبار زوجتى ضحية من ضحايا (كشرى ولاد العم) ..
هناك سيدتان أخريتان ورجل ماتوا من هذا الطعام ..

لم يعرف أحد أن زوجتى ماتت بسبب سم فئران .. كانت الإجراءات عاجلة وروتينية .. فلم يتم أحد بفحص دقيق أو تشريح .. واكتفوا بفحص عينات الكشرى فى حالتين أو ثلاثة .. لم يهتموا بالباقي .. فالسبب كان واضحا أمام الجميع.

إهمال عمال المطعم تسبب فى تسمم غذائى .. أدى إلى موت بعض الحالات .. وانتهى التقرير على خير.

قمت بعمل سرادق عزاء فخم عظيم يليق بها .. أحضرت أشهر المقرئين فى الناحية .. أظهرت للجميع أننى حزين بشدة على موتها المفاجئ .. وهكذا أبعد كل الشكوك عنى .. إن كانت هناك شكوك من الأساس.

انتهت حياة الظالمه بأفضل نهاية ممكنة .. لا دماء .. لا دليل على جريمتى .. لا اتهامات ولا شكوك.

سوف أحصل على الميراث قريبا وعلى مبلغ التأمين أيضا ..
إن الحياة القادمة ستكون مليئة بالمتع ..
شئى أنواع المتع.

سأعيش حياة رغدة .. لا تعب ولا عناء فيها .. سأنفق الكثير والكثير من المال فى النوادى والملاهى الليلية .. لن أفكر كم أنفقت فى الليلة .. كم شربت من الخمر .. كم اصطعبت من فتيات الليل .. لن أفكر فى شئ .. ربما أستأجر شخصا ليفكر لى .. لن أرهق نفسى فى شئ مثل التفكير .. سأعيش ملك .. أتذكر الأيام الماضية التى عشت فيها مع تلك المجرمة .. ربنا يرحمها .. ماتت .. فلأذكر محاسنها ..

المشكلة أننى أجد صعوبة بالغة فى تذكر محاسنها.

على الأقل.. سأحاول ألا أذكر سيئاتها.

لقد ماتت.. ويموتها سوف أبدأ الحياة.. وهذا يخنى أنوا قدمت لى خدمة جلية بموتها.. هى لم تمت برضاها.. أعلم هذا فأنا انذى فتاتها.. لكنها على الأقل ماتت بهدوء.. أكلت الكشرى بطعم سم الفئران.. دون أن تعترض على طعمه المميت.. أو تجبرنى على تذوقه.. أو تأكله دون تأثير.. لقد فعلت خيرا بتناول هذا الكشرى.

أحيانا أجد نفسى بريئا من قتلها.. أحاول إيجاد تبريرات مقنعة.. مثلا أقتع نفسى أنها مثل الآخرين الذين ماتوا من (كشرى ولاد المم).. فهى كثيرا ما تأكل من هناك.. لذا كان من المرجح أن تموت مثلهم فى هذا اليوم.

أشكرك يا زوجتى العزيزة لأنك مت أخيرا.

كانت بخيلة جدا.. لذا أعتقد أن لديها ثروة كبيرة جدا..

لقد عاشت عمرها فى شقاء لأعيش بعد موتها فى هناء.

الميراث الكبير بالإضافة لمبلغ التأمين الهائل.. أعتقد أنى سأكون ثريا جدا جدا خلال أيام..

سوف أشتري قصر فاخر كبير.. أسهر مع فتيات الليل حتى الساعات الأولى من الفجر.. سيكون عندى خدم وحشم يسهرون على راحتى.. رجال حراسة حول المكان يمنعوا أى ذبابة من الدخول حتى لا تعكر صفوالجوالذى سأعيشه..

سوف أعيش حلم حياتى غدا.

استيقظت فى الصباح.. تسللت أشعة الشمس الذهبية الدافئة من خلال النافذة.. التقطت نفس عميق.. شممت رائحة الورد فى المكان.. وسمعت تغريد العصافير فوق الأغصان.. يا له من يوم جميل واعد

نظرت بجوارى على السرير.. وجدت جسدا مغطى ببطانية..

ما هذا؟ من هذا؟ كيف هذا؟

تذكرت حلم الأمس.. لقد حلمت أنى نمت مع فتاة ليل.. فى الواقع كانوا

ثلاثة.. هل كان حلما حقا؟ أم أنه كان واقعا؟

أنا أتذكر أنى شربت خمرا بالأمس.. قررت إنفاق بعض المال المدخر حتى أجرب نفسى فى الإنفاق قبل أن تأتىنى الثروة الهائلة.. فكرت فى تجربة دخول الحانات والبارات.. لكنى اكتفيت بالشرب فقط.. أما الفتيات كانت فى الحلم فقط.

مددت يدى لأجذب الغطاء وأعرف من التى نامت ليلتها بجوارى.. رفعت البطانية.. فظهر وجهها..

كانت زوجتى.. المحجومة.

٤- زوجتى الشبح

انتفضت من مكانى وقمت فزعا من السرير.. كان جسدى يرتجف بعنف كالمصعوق.. صحت:

. كيف دخلت هنا؟.. أقصد.. كيف جئت؟ أقصد.. من أين أتيت؟ من أنت أصلا؟ إن زوجتى ميتة.

صاحت بغضب وهى تنهض من السرير:

. قتلتنى يا مجرم.

سألتها مندهشا وعينائى تتويان أن تخرجنا من محجريهما:

. قتلتك!! أيعنى هذا أنك زوجتى الميتة فعلا؟

ابتعدت عن السرير فظهرت أمامى بكامل ملابسها التى رأيتها بها آخر مرة.. قالت بصوت مخيف:

. تقتلنى بالسم يا جبان.. سم فئران يا متوحش؟ هل ترانى فأرا يا حيوان؟

لا أصدق أنى أتحدث إلى زوجتى الميتة.. قلت لها:

. فكرت فى وسائل أخرى.. صدقينى.

اقتربت منى وقالت بغضب شديد:

ألم أنت تجيد طريقة أفعل من سم الفئران يا حقير؟
 قد قلتي، الهل عرعب؟
 أريد أن أرى رأيك الآن، هل أنت لتناقشيني في طريقة قتلك؟
 لم أهتم بكم يوماً، فاقه، وأثبتت قائلة:
 كل ما كان من الأطفالي أن تلتني مثل أي إنسانة عادية.. ألم يخطر ببالك طريقة
 طفلي، ومن هنا؟
 سأفعلها، صعباً:
 هل يخطئ طبيب الله (هل يخطئ فئران) إلى هذا الحد؟
 قال قلبه، ومهز يتركه يبيض خصلات من شعرها المنكوش عن عينيها:
 زعمتة لتفجر جرحه من شاعري.
 قد قلتي، الهل عرعب، ولا تفهمتها:
 حسبتنا في قلبه، فمرارة القادمة.. سأقتلك دون أن أرحم مشاعرك.
 قال قلبه، بنضومه، ومن قد دفع نحوي:
 تترق قول (مررت ساعة)؟ هل تريد قتلي مرة أخرى؟
 ابتعدت عن طريقه، ويبدو أنها قالت:
 أريد أن أرى رأيك، سميت غضبك الآن.. أنت ميتة بالفعل.
 أشأ شدت، جوبها قائلة:
 أعالي في أي وقت تدي لي من الضروري أن تقولها في وجهي.
 ثم تهم، فخصمت، فاختصمت تماماً.

ظهرت في مصر مرة أخرى، لي في العمل.. كنت أجلس وحيدا في مكتبي وفجأة
 وجوبت لها أمامي، من نفس اللون اللابس.. صحت قزعا:
 ما هنا؟
 قال قلبه، بما لم يسمعه، بقية:

أنا.

قلت بغضب:

أعلم أنه أنت.. ولكن.. لماذا تظهرى لى؟ ألم تموتى بعد؟
لا.. لقد مُت.. أنت قتلتنى بوضع سم فتران فى طبقى.

قلت لها بغضب:

أخفضى صوتك.. زملائى سيسمعونك.

ثم فكرت للحظة وقلت لها:

هل سيسمعونك فعلا؟ هل صوتك واضحا للجميع أم أنتى فقط الذى
أسمعك؟

لا أعلم.

زفرت بغضب قائلا:

حتى لو لم يسمعونك.. بالتأكيد سيسمعونى.. لذا أريدك أن تنصرفى
فورا.

وقبل أن تنطق بكلمة قلت لها:

والى الأبد.. لا أريد أن أراك مرة أخرى.

ظهر الغضب على وجهها و..

اختفت فجأة.

كنت أجلس فى الحانة.. أشرب الخمر محاولا نسيان جريمتى ونسيان
الشيخ الذى يطاردنى..

كنت أتحدث مع فتاة حسناء مثيرة عندما فوجئت بالشيخ أمامى مباشرة.

قالت لى بغضب:

هل هى أجمل منى؟

غادرت الحانة غاضبا فتبعتنى للخارج.. سألتها بغضب:

ماذا تريد من بالضبط؟.. لقد قتلتك.. هل يمكنك أن أفعل أكثر من هذا
لأنخلص منك للأبد؟

ظهر الحنق على وجهها البفيض وصاحت بقوة:

لا تصيح هكذا.. ألا يكفيك أنك قتلتني بسم فثران؟

حاولت تهدئة نفسى وقلت لها بهدوء شديد:

زوجتى العزيزة.. أسف جدا لأنى قتلتك.. وأسف أيضا لأنى استخدمت سم
فثران لقتلك.

ابتسمت ابتسامة سفراء بنيسة وقالت لى:

اعتذارك مقبول.

ثم اختفت تماما.

ظهرت لى مرة أخرى وأنا ذاهب إلى المطبخ.. صحت قائلاً:

ما الذى تريد منى وسأنفذه لك بشرط ألا تظهرى لى مرة أخرى؟

ابتسمت ابتسامة كريهة وقالت وهى ترفع احد حاجبيها:

أقتل نفسك.

ضحكت بقوة وقلت:

هل أقتل نفسى من أجل ألا أراك مرة أخرى؟.. لا طيبا.. ابحنى عن أى

طلب آخر وسوف أنفذه.

لا تقتلنى.

ولكنى قتلتك بالفعل.. أنت الآن ميتة.

ظهر الغضب عليها وقالت:

أعلم أنك قتلتنى.. حسنا.. أنا متضايقه جدا من مسألة سم الفثران هذه..

لذا أطلب منك أن تقتلنى بطريقة أفضل.. أكثر رقيا.. وتحضرا.

ولكنى قتلتك بالفعل.

.. الفشلنى مرة أخرى.. ولكن بطريقة لا تجرح مشاعرى.

صحت بنفسى:

.. أخبيرنى.. كيف أفعلك دون أن أخرج مشاعرك؟ ما هى الطريقة التى

تفضلها فى المثال؟

.. فكر أنت وتفرد.

.. حسنا.. إذا نقلت.. هل تعديتى ألا تظهرى الى مرة أخرى بعد هذا؟

.. أعيدك.

٥. الشبخ لا يموت مرتين

كنت أقود سيارتى عندما قلت للشبخ الذى يجلس فى المقعد الخلفى:

.. ما رأيك؟ .. هل تفضلين الموت غرقا؟ .. صمعا بالكهرباء؟ .. محترقة..

كانت تفكر فيما أقوله.. تختار طريقة الموت التى تناسب هواها ومزاجها

الشخصى.

ندلرت لفواقد السيارة.. كانت منقاة.. رائحة

وضعت أداة حادة بدلا من قدمى.. فتحت الباب بسرعة وقفزت من السيارة

قالا:

.. وداعا يا عزيزتى.

وتركت السيارة تتجه نحو الذيل.. لتفرق ويداخلها الشبخ.

دخلت الشقة فوجدت بها فى انتظارى وملابسها مبللة والمياه تسيل منها..

ثابت لها بفمها:

.. لقد وعدتسى أنك لن تظهرى فى حياتى مرة أخرى.

قالت بسحق:

. نعم.. إذا قتلتني بطريقة راقية.

سأنتها مندهشا:

. ألم تعجبك فكرة الفرق؟

. أعجبتني.. ولكنك لم تقتلني.. لقد خرجت من السيارة ونجوت.

صحت غاضبا:

. أنت شبح.. أنت بالفعل مقتولة.

أشاحت بوجهها فقلت لها:

. خسرت سيارتي بدون فائدة.

. فكر في طريقة أخرى لقتلي.

فكرت لبعض الوقت ثم قلت لها:

. تعالى.

ثم ذهبت إلى المطبخ فسارت خلفي.. فتحت أنبوية البوتوجاز وأنتم تعرفون
الباقى.. ثم خرجت بسرعة من المطبخ وأغلقت الباب عليها.

كنت أجلس في جراج سيارتي. التي غرقت في النيل. عندما ظهرت فجأة
أمامي.. قلت لها:

. ما الأمر؟ ألم تعجبك طريقة الاختناق بالغاز؟

قالت ببساطة:

. لا.. ولكني أهامت الأنبوية على الفور.. كاد الغاز يخنقني.

قلت بغضب شديد:

. المفروض أن يخنقك.. لقد فعلت هذا لكي أقتلك بطريقة لا تجرح
مشاعرك.

ثم سألتها:

. هل تشمين رائحة الغاز حقا؟

أجابت وهي تبتعد عنى حتى لا أرى وجهها الكاذب:
نعم.. أشم كل الروائح.

ابتسمت وأنا أمسك بعلبة الكبريت:

. أنت تكذبين كما أدتك.. أنت لا تشمين.. فقدت حاسة الشم منذ موتك..
والدليل على ذلك أنك لم تشمى رائحة الجاز الذى سكبته فى نفس موضع
قدمك قبل مجيئك.

نظرت إلى الأرض عند قدميها بينما أنا أشعل عود الثقاب وألقيه على بقعة
الجاز القريبة منى..

قلت مبتسما:

.وداعا.

واشتعلت النيران.

كنت أجلس فى الشرفة أحتسى الشاي وأقول لنفسى:

. أعتقد أنها لن تظهر مرة أخرى.. لا بد أن النار التهمتها.

عرفت أن تخمينى كان خطأ عندما ظهرت أمامى فجأة.. قلت لها غاضبا:
. ما الذى حدث؟

قالت لى بوجهها المحترق:

. لقد هربت قبل أن تلتهمنى النار.

ثم جلست على جدار الشرفة ونظرت للأسفل وقالت:

. ما رأيك فى السقوط من أعلى؟

قلت لها وقد بدت لى فكرة جميلة:

. هل تمجيبك هذه الطريقة؟

.نعم.

.وإذا نفذتها.. هل ستختفين إلى الأبد؟

نعم.

ثم سألتني:

هل نحن في الدور التاسع؟

نعم.. هل تريدني أن أقتلك هنا أم نذهب إلى مكان أعلى؟

لا.. هنا يصلح.. سأقف على جدار الشرفة وأنت تدفعني بقوة هائلة.

كانت واقفة أمامي على جدار الشرفة عندما أمسكت ساقها بيدي ودفعتها لكي تسقط.. اكتشفت أنني أمسكت الهواء لأنها شبح ولا يمكن الإمساك به.. اخترقت يدي ساقها الشبحية وعبرت من خلالها فاندفعت إلى الأمام واندفع جسدي كله.. اختل توازني مع المفاجأة والدفعة القوية التي لم تجد من يصدها.. كان جدار الشرفة قصيرا إلى حد ما.. فوجدت جسدي طائرا في الهواء.. ويدي لا تستطيعان التثبيت بأي شيء.. أنا أسقط..

أسقط من الدور التاسع..

يا لها من نهاية!

قد يقول البعض عندما يجذوا جثتي لقد انتعرت.. لم يستطع أن يتحمل العيش بدون زوجته.. لذا غادر الحياة بعد موتها بأيام.. لا أعلم أن هذه ليست الحقيقة.

الأرض تقترب..

ونهايتي تقترب.

فوجئت بها تظهر أمامي أثناء سقوطي قبل وصولي للأرض.. كانت تطير عندما ابتسمت ابتسامة مقبلة وهي تقول:

الآن انتقم.. يمكنني أن أرحل بسلام.

(تمت بحمد الله)

أشواق

سلسلة رومانسية سميئة المستوى.. تحبس الأنفاس
وتحبس المؤلف من فرط الرعب و(التشويق) والإثارة

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم أمانا من وجودها بالمنزل.

كيف تقتل زوجتك دون أن تجرح مشاعرها؟

مددت يدي لأجذب الغطاء وأعرف من التي نامت ليلتها بجوارى.. رفعت
البطانية.. فظهر وجهها.. كانت زوجتي.. المجحومة.

الثمن في مصر: اللي تجيبه.. وأنت وذوقك
وأهوه أى قرش أبيض ينفع في اليوم الاسود
وما يمادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول
العربية والعتبة وميدان عابدين والجيزة.

قصيدة

كنت راكبا القطار كما دنتى كل يوم متجها إلى عملى..
 وفى ذلك اليوم رأيت راكباً يختلف عن بقية الركاب الذين رأيتهم فى حياتى،
 فالركاب عادةً فى القطار إما نائمىن أو واقفين أو جالسىن يتحدثون إلى بعضهم
 أو ينظرون من النوافذ ليتأملوا الأشياء وهى تجرى أمامهم.
 أما هذا الراكب فكان مختلفا عنهم.. فقد أخرج بعض الأوراق من حقيبته
 وبدأ يكتب فيها باهتمام شديد بمجرد جلوسه على المقعد بجوارى..

وظل يكتب..

ويكتب..

و.. يكتب.

اقتربت منه لأعرف ذلك الذى ورد على خاطره وأخذ يكتبه.. ربما كانت
 مذكرات أو قصيدة أو قصة أو رواية لأنه انهمك فى الكتابة لمدة طويلة..
 وعند اقترابى منه أدركت أنه يكتب قصيدة من انتظام السطور وقصرها..
 حتى جاءت لحظة شعرت أنه انتهى من كتابة قصيدته فاستأذنته لأقرأها..
 كان الفضول يقتلنى من أجل قراءتها لأنى لمحت فيه تلك الموهبة التى لا تنتظر
 العودة إلى المنزل.. بل يكتب على الفور كل ما يرد إلى خاطره حتى ولو كان فى
 القطار.

اذن هو حقاً موهوب.

أينما حل يأتيه الوحي لكتابة قصيدة فيخرج الأوراق ويكتب.. لا بد أنها
 موهبة فذة.. ولا بد أنه شعر رائع جميل.

كان ذلك الانطباع هو انطباعى قبل القراءة.. ثم بدأت قراءة القصيدة
 التى كانت بدايتها هكذا:

امتى الزمان بسمح

يا واد إنت

نتمشى سوا

ونفيل أهل الحتة

بحب فيك رموشك

بحب فيك شفائيك

كلك على بعضك حلو

أموت أنا في الباكيتة

اديني من خدك حنة

والخد التانى حنة

أعملهم حجاب لقلبي

وأعلقه في الجاكتة

وأخذت أكمل قراءة القصيدة التي تتكون تقريبا من مائتي بيت حتى وصلت إلى نهاية القصيدة ويقول فيها:

خلاص أنتي جاية

مأبدأ أعد يا لوليتا

واحد اتين ثلاثة

أربعة خمسة ستة

أعطيته الأوراق بعد أن فرغت من القصيدة فأخذها مني.. توقعت أن يسألني عن رأيي فيها وتوقعت أنه ينتظر مني قصائد مدح في سوهيته الشعرية الفذة.. ولهذا شعرت بالحيرة.. كيف وماذا أقول إذا سألتني؟ هل أخبره الحقيقة أم أكذب عليه وأمدح شعره؟

لكنني فوجئت بأن توقعاتي خاطئة.. لم يسألني عن شيء.. بل قام بأخر شيء يمكن توقعه.

لقد مزق الأوراق إلى قطع كثيرة ثم ألغها من نافذة القطار وأمسك حقيبته ونهض متجها إلى الباب.. يبدو أن هذه المحطة هي المحطة التي سينزل فيها.. قمت بسرعه لأسأله قبل أن يخرج:

لقد مزقت القصيدة.. لماذا؟

أجاب ببساطة:

كانت قصيدة تافهة.

قلت من هذا:

شئىء توريده.. ووظائفنا أنك ترواها كلها لأننا اكتفينا من اليدوية؟
.. حتى لا أتأم.. التنكير والكتابة يجهلون.. مستظلم.. ووفقنا إلا تفوت منى
الخطبة.

((تمت بحمد الله))

تمت

قوله تعالى من بعد و... من بعد ما...

٢٢٧

بشر (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

تهت

قال (بشر) ما جعل

لا (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

لا يوجد فيها (بشر) أي الأبرار

أول (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

بشر (بشر) أي الأبرار

بشر (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

بشر (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

قال (بشر) أي الأبرار

(بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

لا يوجد فيها (بشر) أي الأبرار

أول (بشر) أي الأبرار (بشر) طلال

قصة قصيرة من سطر واحد... كل من يقرأها يموت فوراً.

(تمت)

سأل (عمرو) أخيه الأكبر (حسام) قائلاً:

.. ما رأيك؟

قلّب (حسام) الورقة بين يديه وراح ينظر لها من جميع الجهات ثم قال ساخراً:

.. أين القصة؟

ابتسم (عمرو) ابتسامة عريضة، وقال:

.. ها هي أمامك يا (حسام) ألم تقرأها بعد؟

قال (حسام) متجباً:

.. لا أرى سوى سطر واحد وكلمة (تمت) أسفله! أين بقية القصة؟

.. لا توجد بقية.. القصة كلها سطر واحد.

وهل توجد في الدنيا كلها قصة من سطر واحد؟

نعم.. إنها قصة قصيرة.

هذه ليست قصة قصيرة.. إنها أقصر من أن نطلق عليها ذلك.

.. ربما.. يمكن أن نسميها (قصة قصيرة جداً) أو (أقصوصة)..

أو (قصقوصة)!

قال (حسام) ساخراً:

.. (قصقوصة) من أين تأتي بهذه المصطلحات أيها المبدع؟

.. لا تسخر مني وأخبرني برأيك.. ألم تعجبك القصة؟

.. أنا لا أجد شيئاً حتى أستطيع التعليق عليه.

هذا لأنك لم تقرأ قصص قصيرة جدا من قبل.. إنها نوع من أنواع القصة..
ومنتشر جدا الآن.. ولها كتابها المشهورين.. وأنا بلا فخر. أنتن كتابتها.. إنها
تكون في حدود سطر أو سطرين.. على الأكثر ثلاث سطور.. وفي حالات نادرة
جدا أكثر من ذلك.. وكلما كانت أقصر كلما زاد إبداع المؤلف.. لأنه يلخص
مواقف كبيرة المعنى في سطور قليلة جدا.. سوف أشرح لك جماليات هذه
القصة لتفهم ما أقوله.. تخيل معي أن تكون هناك قصة قصيرة كل من يقرأها
يموت في الحال!

ضحك (حسام) قائلاً:

فكرة سخيفة! ولا يوجد بها أي إبداع.

قال (عمرو) محتجاً:

كيف؟

كان (عمرو) يظن أن أخيه يحاول إحباطه فقط.. وقد أدرك (حسام) ذلك
لذا أجابه شارحاً وجهة نظره حتى يزيل هذا الظن:
أخي العزيز.. أنا لا أحاول إحباطك.. بل أحاول تعليمك حتى لا تكون
قصصك مجالاً للسخرية.. أنتقد ما تكتبه لتحسن طريقتك في الكتابة.

قال (عمرو) بنفيظ:

حسناً.. ما الذي لم يعجبك في القصة؟

قال (حسام) متهمكاً:

تقصيد (ما الذي أعجبني في القصة؟).. فأنا لا أجد أي شيء بها يستحق
الإعجاب.. إنها أسوأ ما قرأت في حياتي.. هذه ليست قصة أية قصة قصيرة
هذه التي تتحدث عن قصة قصيرة؟!!.. كأنك تكتب شعراً عن الشعراء ثانياً:
أية قصة هذه التي يمكن أن تقتل من يقرأها؟ ثالثاً: يا ترى الذي كتبها مات
أيضاً؟ أم أنه كتبها ولم يقرأها؟ وهذا طبعاً مستحيل! إذا قرأها بعد أن كتبها
فهل مات؟ وجدوه ميتاً وفي يده القصة القاتلة وكل من قرأها مات بعد ذلك؟
أم أن مؤلفها لا يموت وجميع قرائها لا بد أن يموتوا؟ وكيف يموتون؟ هل يموتون
بمجرد قراءتها بأزمة قلبية مثلاً؟ مرض نادر ينتقل من بين الحروف إلى جسم
الإنسان؟ أم أن القصة مكتوبة على ورق مسموم؟ أم أن كلمات القصة ملعونة بها

تعويذة شريرة تجعل من يقرأها يموت؟ إذا كان من الأفضل أن تقول (تعويذة كل من يقرأها يموت في الحال) .. وهذه أيضا لا تكون قصة .. بل خبرا مثيرا في جريدة صفراء أو معلومة مريبة في كتاب عن السحر .. لا يمت للأدب بصلة!

قال (عمرو) مبتسما:

. بالعكس! أنت أثبت الآن أنها أفضل قصة قصيرة .. لأنها أثارت خيالك عن طبيعة هذه القصة القاتلة .. جعلتك تتخيل أمورا كثيرا .. كل هذا من خلال سطر واحد! جعلتك تفكر في سر هذه القصة وطريقة القتل .. إلخ .. وهذا هو المطلوب .. تلخيص معاني كثيرة وخيال جامع في سطر واحد فقط مثير للتساؤلات.

. حسنا .. إذا كانت هذه قصة قصيرة وتعتبرها كذلك .. فأليك مجموعة قصصية من هذا النوع يا أخى العزيز .. إليك أول واحدة .. القصة تقول (سرير يقتل كل من ينام عليه ليلة كاملة) تمت بحمد الله .. ما رأيك يا (عمرو)؟ .. إليك قصة أخرى .. (قلم جاف .. يقتل كل من يكتب به في الحال) .. تمت بحمد الله .. هاه .. هل أعطيك واحدة ثالثة؟ .. ثوانى .. سأفكر في واحدة أخرى .. أأ .. هاه .. وجدتها .. فكرتها رائعة .. إليك القصة الثالثة (فكرة رائعة .. تقتل كل من يفكر فيها) .. تمت بحمد الله .. هل تريد المزيد؟ .. (مسطرة .. كل من يسطر .. قاطعه (عمرو) قائلا:

. ألن تنتهى؟

. ماذا؟ هل أزعجتك قصصى؟ كنت أنوى أن أقص عليك مئة منها الآن!

. هذه ليست قصص .. إنها تقليد لقصتى .. لا يوجد بها أى إبداع .. الإبداع هو أن تصنع شيئا جديدا لم يكن موجودا من قبل .. أما ما تقوله هو تكرار لفكرتى .. ولو أننى نشرت هذه القصة وقمت أنت بتأليف هذه القصص .. سيكون من حقى أن أقاضيك .. لأنك قمت بسرقة فكرتى ورحمت تكررها بطرق مختلفة .. وقانون الملكية الفكرية فى صفى.

. هل تفكر فى نشر هذه القصة؟ حقا؟ وأين ستطبعها؟ على ورقة نتيجة؟ ..

فى مكان الحكمة التى يكتبونها .. أم على تذكرة أتوبيس؟

. أولا: لا تستهين بصفرها! ثانيا: سوف أكتب الكثير من هذا النوع وأضعه فى

مجموعة قصصية.. وربما أضف إليها بعض القصص القصيرة الكبيرة!
 (القصيرة الكبيرة)!! وهذه القصص الكبيرة ستكون من ثلاث أسطر أم
 من ثلاث أسطر ونصف؟

. إسخر كما تريد.. ولكنى سأكتب ما يحلو لى.. بالطريقة التى أراها
 مناسبة.

. حسنا.. إليك قصة قصيرة جدا من تأليفى.. وليدة اللحظة.. قصة مكونة
 من كلمة واحدة.. كلمة من ثلاث حروف.. هل تريد معرفتها؟

قال (عمرو) مغناظا:

. لا تقل هذه الكلمة! أنا أعرف ما يدور فى عقلك الخبيث.

ضحك (حسام) ضحكة شيطانية مما يدل على أن تخمين أخيه كان
 صحيحا.

قال (عمرو) بثقة كبيرة:

. قصتى رائعة.. لا أحتاج رأيك.

. صدقتى يا أخى العزيز.. قصتك هذه فاشلة.. ولو أردت نصيحتى فاسمعى
 جيدا ونفذ ما أقوله.. أولا: حاول أن تكتب محتوى القصة القائلة داخل القصة
 نفسها أو ملخصها على الأقل.. ثانيا: يجب أن تذكر للقارىء لماذا تقتل القصة
 من يقرأها وكيف.. إن هذه أشياء تهتم القارئ.. إن قليل من الغموض مفيد لكن
 الكثير جدا من الغموض سيجلب عليك سخط القراء.. إذا نفذت نصائحتى
 سيكون عندك قصة طويلة رائعة تستحق النشر.

(تمت)

" ما هذا؟ إنها قصة سخيطة.. إنها ليست قصة أصلا "

قالها د.(رشاد) وهو يخجل بقلمه بمض الخطوط تحت سطور بعينها ثم

أردف:

. ثانيا: هناك الكثير من الأخطاء اللغوية.

سأله (فوزى) بصوت منخفض من شدة الخجل:

. أين هي يا دكتور؟

تجاهل د. (رشاد) سؤاله وتابع:

. حوار بين أخ وأخيه حول قصة قصيرة كتبها أحدهما وتنتهى القصة

بنصيحة.. ما هذا؟ درس فى النقد أم قصة قصيرة؟

قبل أن يرد (فوزى) أكمل د. (رشاد) حديثه:

. ثم أين هي القصة القائلة؟ ليترك كتبها أو كتبت ملخصها لتعطى للقصة

روحا.. يبدو أنك مضطر لسماع النصائح التى قالها بطل قصتك يا رجل.

وبالفعل.. نفذ (فوزى) نصيحة أستاذه.. أو بمعنى آخر نصيحة بطل قصته

(حسام).. وراح يكتب أحداث القصة القائلة.. استغرق الليل كله فى كتابتها..

وعندما سطع نور الشمس فى الصباح هرع إلى الجامعة وانتظر أمام مكتب

أستاذه الدكتور (رشاد).. أستاذ القصة وأسطورة الأدب العربى.

عندما وصل الأخير إلى مكتبه وجد (فوزى) الطالب النجيب فى انتظاره..

قائلا له:

. لقد كتبت القصة كما أردت بالضبط يا أستاذى.

دخل الأستاذ الجامعى مكتبه وتبعه تلميذه.. وضع الأول حقيبته على المكتب

وجلس خلفه وراح يقرأ القصة القائلة واستمتع جدا بأحداثها وعندما انتهى

منها قال لـ (فوزى) الجالس أمامه:

. قصة رائعة.. ولكنها رومانسية!

قال (فوزى):

. وما العيب فى هذا؟

. لا يوجد بالقصة أى عيب.. ولكن.. فكرة هذه القصة تختلف تماما عن

الفكرة التى قرأتها بالأمس.. أين هي القصة القائلة التى تقتل من يقرأها؟

قال (فوزى) ببرود غامض:

.إنها هى التى بين يديك الآن.

سأله د. (رشاد) دون أن يفهم ما يرمى إليه:

كيف؟ أنت لم تذكر ال... أنت لم... أنت... أنت... آآآ

نهض من مكتبه مذعورا، وراح يتحسس حنجرتة وقلبه.. وكان الهواء لا يصله.. فك ربطة عنقه.. صوته يخرج منه متحشرجا..

نهض (فوزى) من مقعده، واتجه إلى باب المكتب، وأغلقه بإحكام ليمنع خروج الصوت.

كان الأستاذ الجامعى فى حيرة شديدة.. ما الذى يحدث له بالضبط؟.. وما سبب حدوثه؟.. ولماذا أغلق تلميذه الباب بدلا من مساعدته؟

اتجه د. (رشاد) إلى (فوزى)، وقبض بيديه على قميصه طالبا مساعدته، وفى عينيه نظرات توسل شديد لكن الأخير ظل واقفا ثابتا بمنتهى البرود فى مكانه.. وكأنه كان ينتظر ما يراه أمامه.. لم يستطع الدكتور التماسك لأكثر من ذلك، فسقط على الأرض بعنف شديد، وراح يتلوى كثيرا، ويصرخ.. يصرخ.. يصرخ قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وتهدم حركته تماما.. وعم الصمت المكان فى هذه الساعة المبكرة من اليوم.

انحنى (فوزى) بهدوء لينتزع القصة من يد أستاذه..

ثم غادر المكان حاملا الصفحات القائلة.

(تمت)

قال (حسام) مبديا إعجابه:

.الآن لدينا قصة رائعة!

سأله أخيه الصغير (عمرو):

هل أعجبتك؟

..جدا... أفضل بكثير من القصة الأولى.. ولكن..

سأله (عمرو) باهتمام:

ولكن.. ماذا؟

ولكن.. لماذا أضفت لها قصتك الأولى والحوار الذي دار بيننا حولها؟
كان يكفى هذا الجزء الأخير.. ذلك الحوار الدائر بين الطالب وأستاذه حول
القصة الثالثة وكيف قتل الأستاذ في النهاية.

قال (عمرو) في غموض:

لدى أسهابي الخاصة

قال (حسام) محاولا العودة لدور الناقد الفذ:

..حسنا.. أنا الأول أنها رائعة ولكن.. لى أكون صادقا معك فإن قصتك
وتقصيها بعض الأشياء.

قال (عمرو) بضيق:

ماذا هناك؟

راح (حسام) ومدّ على أصابعه:

..أولا: لم تذكر القصة.. ثانيا: لم تذكر كيف جعل الطالب قصته قاتلة..

ثالثا: كيف ما.. ما.. ما..

سأله (عمرو):

ماذا هناك؟

سعل (حسام) بشدة، وقال:

..لا أدري.. أشعر أن هناك شيئا ما يقف في حلقى.. شو.. آآآ..

وسعل مرة أخرى.. سأله (عمرو) باهتمام:

..ما الذي يمكن أن أظبه لك؟

سعل (حسام) مجدداً، وقال:

..ماء.. أريد ماء..

هرع (عمرو) ليحضر لأخيه كوب ماء.. لكنه عندما عاد وجد أخيه (حسام) جثة هامدة على الأرض..

ظل واقفا بجوار الجثة للحظات..

لم تذرف عينه دمعة واحدة.. لم ينبس ببنت شفة..

فقط شرب كوب الماء الذي أحضره ثم طوحه بعيداً.. ووضع قصته في جيبه، وانصرف بهدوء..

(تمت)

" أسخف قصة قرأتها في حياتي "

قالتها (نهاد) وهي ترفع خصلات من شعرها الناعم كانت تدارى عينيها ثم أكملت:

. أخ يقتل أخيه بواسطة قصة! ما هذه السخافة! والقصة القائلة عبارة عن حوار بين طالب وأستاذه حول قصة قاتلة.. والقصة القائلة التي بداخل القصة القائلة لا نعرف عنها شيئاً سوى أنها قصة رومانسية! ما كل هذا السخف! تداخل قصص في بعضها وحيكات غير منطقية! لا نعرف من هم الأبطال ومن هم قراء القصة.. نكتشف أن قراء القصة صاروا أبطال في قصة يقرأها من اعتقدنا أنهم أبطال من قبل.. ما هذه المفاتة!

ردت عليها (سهير) غاضبة:

فولت أنها لم تعجبك.. ليس هناك داعي لكل هذه المحاضرة!

ثم نهضت من سريرها، وتركت الغرفة.. أما (نهاد) فانتهزت فرصة خروج صديقتها ومدت يدها تحت الوسادة تبحث عن هاتفها المحمول.. حتى وجدته.

طلبت رقم حبيبها (غانم) .. أنها صوتها:

. ألو..

. ألو..

. لماذا تأخرت في الاتصال؟ لقد انتظرت كثيرا.. حتى أنني كنت سأتصل

بك.

حذرتك (نهاد) قائلة:

. إياك أن تفعل.. البنات اللاتي تشاركنني الغرفة لا تعرفن أنني أتصل

بأحد.. ولا أريد أن..

قاطعها قائلاً:

. لماذا تأخرت إذا في الاتصال؟ ألا تعرفين أنني أنتظر اتصالك على أحر

من الجمر؟

. أعلم يا حبيبي.. ولكن تلك السخيفة (سهير) كتبت قصة سخيفة وأرادت

رأى فيها.. تظن أنها مؤلفة و.....

فترة من الصمت.. لا يسمع (غانم) فيها صوت حبيبة قلبه.. لماذا صمتت

فجأة؟ هل دخل أحد الغرفة فألقت المحمول جانبا؟ كيف سيعرف؟ هل يسألها

أم أن صوته قد يسبب حرجا لها أمام صديقاتها؟ هل ينتظر؟ لماذا صمتت

فجأة؟ ما الذي حدث؟ هل انقطع الاتصال؟ هل شبكة المحمول ضعيفة؟ سألها

هامسا:

.و.. ماذا؟

سمع (غانم) أصوات غريبة عبر الهاتف فسأل بقلق:

ماذا هناك؟

جاءه صوت حبيبته وهي تقول:

. أآآ.. أووووه.. أعممع..

. ماذا؟

. (غانم).

نعم.. لقد أفلقتني.. ما الذى حدث؟

.....

(نهاد).. أجيبي..

(غانم).. أنقذني.. أنا.. أنا...

شعر (غانم) بفاية القلق على حبيبته.. ودّ لو أنه بجوارها الآن.. أو يستطيع الوصول لها وإنقاذها.. سألتها بمنتهى الحيرة:
ماذا؟

ولم يطلق جوابا بعد ذلك إلا عندما عادت (سهير) إلى الغرفة.. ورأت صديقتها (نهاد) نائمة على سريرها وفي يدها اليمنى القصة القصيرة وفي يدها اليسرى هاتفها المحمول.. فأمسكته قائلة:

- إلى من تتحدثين يا شيطانة؟

وضعت الهاتف على أذنها وقالت:

- من أنت؟

سمع (غانم) صوت (سهير) فأنهى المكالمة على الفور بضغطة قوية على أزرر الأحمر بهاتفه المحمول..

نظرت (سهير) إلى صديقتها (نهاد)، وراحت تهزها، وتسألها ضاحكة:
هل نمت بهذه السرعة؟

لكنها لم تكن نائمة!

(تمت)

" ماذا كانت إذًا؟ "

فالتها (دعاء) ضاحكة.. فسألتها (نهائى) مندمشة:

- ماذا تعنين؟

. القصة تنتهي بجملة (لكنها لم تكن نائمة) .. ماذا كانت إذن؟

أجابتها (تهاني) بهدوء:

. كانت مينة .. ظننت هذا واضحا.

. أعلم يا ذكية .. أنا فقط أمزح.

. حسنا .. ما رأيك فيها؟

. قصة متوسطة .. وما رأيك أنت؟

. نفس رأيك.

. من الذي كتبها؟

. هزت (تهاني) كتفيها، وقالت:

. لا أعلم .. ليست منسوبة لأي شخص .. ليس لها اسم وليس لها مؤلف.

. بالتأكيد لها مؤلف .. ولكنك لا تعرفين اسمه.

. مثل (ألف ليلة وليلة).

. احتجت (دعاء) فائلة:

. هل تشبهين هذه بألف ليلة وليلة؟

. لا أقصد ذلك .. أعني أن مؤلفها مجهول مثل مؤلف (ألف ليلة وليلة) .. لا

تعرف من هو مؤلفها.

. فكرت (دعاء) قليلا ثم سألت صديقتها:

. أين وجدت هذه القصة؟

. في القفاء .. كانت ملقاة برأعمال بجوار حائط.

. تأملت (دعاء) الصفحات وقالت:

. مكتوبة بخط اليد .. إمعن .. ربما كانت قصة أصلية من تأليف طالبة

هنا في مسكن الطالبات .. وربما كانت منقولة يدويا من مجموعة قصصية

شهيرة.

. سألتها (تهاني):

.وكيف نعرف؟

قالت (دعاء) بذكاء:

. بالبحث في (جوجل) طبعاً.. سوف نكتب بمض الجمل من القصة ونبحث عنها.. الإنترنت مليء بجميع القصص القصيرة الشهيرة.. أحضري اللاب توب بسرعة..

نهضت (تهاني) بسرعة حتى أنها تعثرت في غطاء السرير.. ثم قامت وعدلت ثيابها ودخلت الغرفة الأخرى لتعوض اللاب توب..

وعندما تأخرت.. صاحت (دعاء):

. ما كل هذا التأخير! إن اللاب ليس قتيلاً.

لم تسمع أي رد من صديقتها المزيزة:

. (تهاني!!!) .. ماذا تفعلين عندك؟ ألم تجدي اللاب؟

شعرت (دعاء) بالقلق على صديقتها.. فنهضت من سريرهما لكي تستطلع الأمر لكن القدر لم يمهلهما أن ترى صديقتها المتهمة في الغرفة الأخرى.. لأنها بمجرد أن وضعت قدمها على الأرض.. شعرت بأن الدنيا تدور حولها..

هناك:

. (تهاني) .. ما هذا؟ زلزال؟

لكنه لم يكن زلزال..

(تهاني) لا تستطيع الرد عليها لأنها لم تعد تنتمي إلى هذه الدنيا..

صداع شديد يجتاح رأس (دعاء).. اللون الأسود يتسرب إلى كل شيء حولها.. بقع سوداء تزداد اتساعاً.. لا تستطيع الحفاظ على توازنها فتسقط..

تنهض..

تحاول التشبث بأي شيء..

لم تعد ترى شيئاً أمامها فتسقط مرة أخرى على الأرض..

لكنها هذه المرة.. لم تنهض..

(تمت)

قبض (عادل) على الأوراق التي بها القصة وكومها بيديه القويتين حتى صغر حجمها ثم ألقاها بعيدا كأنها كرة تنس طاولة.. فطارت من النافذة.

قال لصديقه (يحيى):

. قصة سوداوية.. لا أعرف ما الذي يعجبك في قصص الرعب هذه.

قال (يحيى) محاولا الدفاع عن نفسه:

. أنا لا أهوى قصص الرعب ولكن.. هذه القصة أثارت انتباهي.

. كيف؟

قال (يحيى) بلهجة غامضة:

. ربما كانت هذه القصة حقيقية.

سأله (عادل) مستكرا:

. كيف؟

قال (يحيى) شارحا ما يدور في عقله:

. ربما هناك بالفعل قصة تقتل من يقرأها.. وكل الأبطال في القصة هم بالفعل قرأوها.

. ومن كتبها إذن؟ وهل مات بعدها؟ وهل ظلت تنتقل من يد إلى يد دون أن يعلم أحد بتأثيرها طوال هذه المدة؟

. أنا لا أقصد هذه القصة.. ولكن.. ربما كانت هذه القصة تحمل جزءا من الحقيقة.. والذي كتب هذه القصة يحاول أن ينبهنا لذلك.

قال (عادل):

. حسنا.. دعنا نبحث على الإنترنت ونعرف.

ارتجف جسد (يحيى) وقال:

. أليس هذا هو بالضبط ما كانت ستعلمه الفتاتين؟

. تتصدق (دعاء) و(تهانئ)؟

. بالضبط.

انتقل اللق من (يحيى) إلى (عادل) الذى قال:

. ما الذى تعنيه؟

قال (يحيى) وهو يتلقت حوله لا شعوريا وكأنه خائف من شيئا ما لا يدري

كئنه:

. اعنى ربما تلقى نفس المصير.

. ما هذا السخفة هل تعنى أننا مثلهم أبطال فى قصة قصيرة؟ .. لا يا

رجل.. خيالك تعدى الحدود.. أنا أعرف نفس جيدا.. من لحم ودم.. أما أنت

فأدري بنفسك.. ربما كنت شخصية كارتونية فى النهاية.

قال (يحيى) متجاهلا أسلوب (عادل) الساخر:

. لا أقصد هذا طبعاً.. لكن من أدراك أن (دعاء) و(تهانئ) ليستا من لحم

ودم أيضاً.. ربما كانتا منحوستين لأنهما قرأتا القصة الملعونة ثم ماتتا، وهكذا

أضيقت أسمائهم لهذه القصة.. وربما تلقى نفس المصير لأننا قرأتنا القصة

ذاتها أيضاً.. وربما نموت الآن.. وتضاف نهايتنا إلى نفس القصة.. وتنتهى

بكلمة (نمت).. ليجدها شخص آخر غيرنا.. منحوس جديد يقرأ القصة

بالنهاية الجديدة ثم يموت لتضاف نهايته إليها وهكذا.

ارتجف جسد (عادل) رغماً عنه وحاول التظاهر بالشجاعة وقال:

. هل تعنى أن كل من يقرأ القصة يموت وتضاف نهايته إليها؟

. نعم.

حاول (عادل) التماسك وهو يسأل السؤال الخيف:

. ومن يكتب هذه النهايات الجديدة إذن؟

أما (يحيى) فترك جسده يرتجف بمنتهى العنف.. لم يحاول منعه.. لأنه فى

النهاية لم يستمع الإجابة .. ولم يستمع تخطيها.

قال (عادل):

. وكيف سنمرف إن كانت شكوكك صحيحة أم أنها محض هراء؟

قال (يحيى) بيأس:

. هذا إن وجدنا الوقت الكافي لنبحث عن الحقيقة!

. ماذا تعنى؟

. لو أن شكوكى صحيحة فسنموت الآن .. لأننا قد قرأناها .. وإن كانت مجرد شكوك حمقاء فسوف نعيش ونضحك سوياً بعد سنين طويلة عن مخاوفنا في هذا اليوم الغريب بسبب هذه القصة الغريبة!

قال (عادل) وهو يبتسم إلى الكمبيوتر:

. لا .. لن أنتظر كثيراً حتى أعرف أن هذه مجرد شكوك حمقاء.

. ما الذى ستفعله؟

قال (عادل) بتحدى:

. سأفعل ما لم تستطع الفتاتان فعله.

ثم فتح صفحة (جوجل) على الإنترنت وكتب في مستطيل البحث جملة (قصة تقتل من يقرأها) .. وجد صفحات كثيرة تتحدث عن قصص خرافية وكلمات تقتل من يقولها .. إلخ.

سأله (يحيى):

. هل وجدت شيئاً؟

قال (عادل) بقلق يخلو من الثقة الزائدة التى كان يتمتع بها فيما مضى .. منذ دقائق تقريباً:

. ليس بعد.

كتب جملة جديدة في مستطيل البحث ..

(وفاة الطالبتين دعاء ونهاني)

ثم ضغط Enter

فوجد عناوين كثيرة في نتائج البحث مثل:

. وفاة طالبتين في ظروف غامضة.

. جنازة (دعاء) و(تهاني) غدا بمسجد الرحمة

. كيف ماتت (دعاء) و(تهاني)؟

. المطالبات تقوم بمظاهرة داخل حرم الجامعة

. شكوك حول التوجبات الغذائية

ونتايج أخرى لم يهتم بها (عادل) الذي قال لصديقه:

. الفتاتين حقيقتين؟

قال (يحيى) بذعر:

. ألم أقل لهذا؟

مز (عادل) رأسه محاولا تفضيض الأفكار السوداء بها، وقال:

. ولكن هذا لا يبنى بالضرورة أن القصة حقيقية.. ربما كتب المؤلف قصة من خياله مستخدماً أسماء الفتاتين اللتين ماتتا لأسباب غير معروفة.. ربما أوحى له موتهما بهذه القصة القريبة.

سأله (يحيى) باهتمام:

. ماذا قالت التحريات حول موتهما؟

عاد (عادل) إلى الشاشة وهو يقول:

. لا أحد يعلم سبب الوفاة.. ولكن الشكوك تحوم حول الطعام الفاسد.. وإدارة الجامعة تقو..

ابتلع (عادل) بقية الجملة عندما سمع صوت ارتطام بجواره.. التفت لصديقه (يحيى).. لم يجده في مكانه.. كان جسده على الأرض.. لقد سقط فجأة بدون سابق إنذار.

فكر (عادل).. بالتأكيد صديقه لا يمزح معه.. هذا ليس وقته بالتأكيد.. وهو يعرف (يحيى) جيدا.. لا يحب المزاح في هذه الأمور..

لذا عاد (عادل) ينظره إلى شاشة الكمبيوتر مرة أخرى، وبسرعة شديدة

راح يكتب بأصابع مرتجفة جملة جديدة هي مستطيل البحث بموقع جوجل
(كيفية النجاة من القصة القاتلة) ..

وضغط على زر Enter

لكنه لم يضغط بإصبعه..

لقد ضغط برأسه كلها.

فقد سقطت رأسه فجأة على شاشة المفاتيح.. فظهرت نتائج البحث على
الشاشة، لكنها لم تجد من يقرأها هي تلك الساعة المشنومة!

(تمت)

لا أفهم شيئاً!

هل هذا يعني أن (يعيسى) كان محققاً في شكوكه وأن نهايته قد سُجّلت أيضاً
كنهاية للقصة مع صديقه (عادل)؟

لكن من يكتب هذه النهايات؟ وأين يذهب الوريق؟ وكيف ينتقل من يد إلى
أخرى؟ وكيف يموتون؟ ولماذا؟

هذه الأسئلة الكثيرة قد تُضعف مستوى القصة.. لكنها جيدة على أي
حال.. فكرتها مختلفة.. بها بعض النموض والربص.. تثير عقل القارئ وتجذبه
لقراءتها لكي يصل للنهاية ويعرف ما آلت إليه الأمور وكيف سينتهي كل هذا..
لا أنكر أنها مشوقة.

لكن.. من الذي كتبها؟

إن الخط ودي جداً!

لقد قرأتها بصعوبة.. على أي حال لقد نقلتها جرفها إلى جهازى.. وتأكدت
أنها لم تنشر من قبل.. لذا بإمكانى الآن أن أنقلها إلى مدونتي الشخصية
وأدعى أنها من تأليسي.. وإذا حاول أحداً أن يدعى أنها من تأليسه سأقاضيه..
أما إذا ثبت أنه مؤلفها الحقيقي فعلاً وأثبت ملكيته لها سأحاول رشوته وإنهاء

الأمر بطرقه وديته. العناوين كثيرة ولكن مشكلة حل

لكن هذه القصة لا تقوت أهدأ.. سوف أحضر بيانات التماثلات بعد نشرها..
وسوف يزيد قرأنا ستكون مدونتي أشهر من مدونة (عائزة أيجوز)

شخطة واحدة وتكون القصة باسمي وسما على الإنترنت
وما هي ذى.. مجرد شخطة

نك

الآن سررت الأوقات الرسمي لهذه القصة..

سأنتظر أول تعليق..

مرحباً بالمتابعين..

شكراً

هو أول تعليق

(قصة واقعية)

ما هذا التعليق من كاتبها جيداً تعليق بسيط أفضل من لا شيء
شكراً

تس الشخص أنفاق كلمة جديدة إلى تاليته.. كلمة (لكن)

أي أنه كتب قصة واقعية لكن..

جيداً كتب ثلاث كلمات

انتشرت لأعرف بقية جملة.. (لكن) ماذا.. مهلاً.. أكتب.. ما الذي بعد
كلمة (لكن)؟

مر الوقت دون أن يثبت أي كلمة جديدة.

ما الذي حدث؟ ربما انتقلت الكوراه عنده أو مثال في شبكة الإنترنت
لديه.. على أي حال سأقبله لاحقاً لأعرف بقية تاليته

والآن سوف أرسل القصة عبر الإنترنت إلى جريدة الأناضول وتكونوا يتشاورون..
أسعد.. أسعد

أهـ ما هذا

بضع سوداء.. ما هذا السواد؟

أشعر بالاختناق!

هواء!

لا أرى شيئاً!

أريد ما أراه..

هل هذا زلزال؟

(تمت)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(تمت)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفهرس

١١ أنسر ماشين
٢٥ ربت الجيران
٥٩ ثمة شيء مريب بخصوص (سونيا)
٧٥ ورقة وقلم
٨١ حتى لا يطهر الپهفاء..!
١١٩ سر البئر
١٢٧ نجم شبالك
١٤٥ وردة
١٤٩ نصف جسد
١٦٢ أشواك (١)
١٦٥ كيف تقتل زوجتك دون أن تجرح مشاعرها؟
١٨٥ قصيدة
١٩١ ثمت



قصة قتل من يقرأها .. وامراه حارفة الجمال ذات سر غامض.. ونزوة ضخمة لا يمكن العثور عليها أبدا بسبب نافه... وفتاة بريئة تقع في مكيدة مدبرة لها من حسن حظها.. ورجل يفكر مع زوجته في الطريقة المثلى للتخلص منها.. وتحذير غريب بشأن بئر في الصحراء.. وشروط صارمة خاصة بالعمل الجديد.. وجريمة قتل في رسالة مسجلة.. وجاسوس يعشى سر صاحبه فيقرر التهامه .



محمد رضا عبد الله

